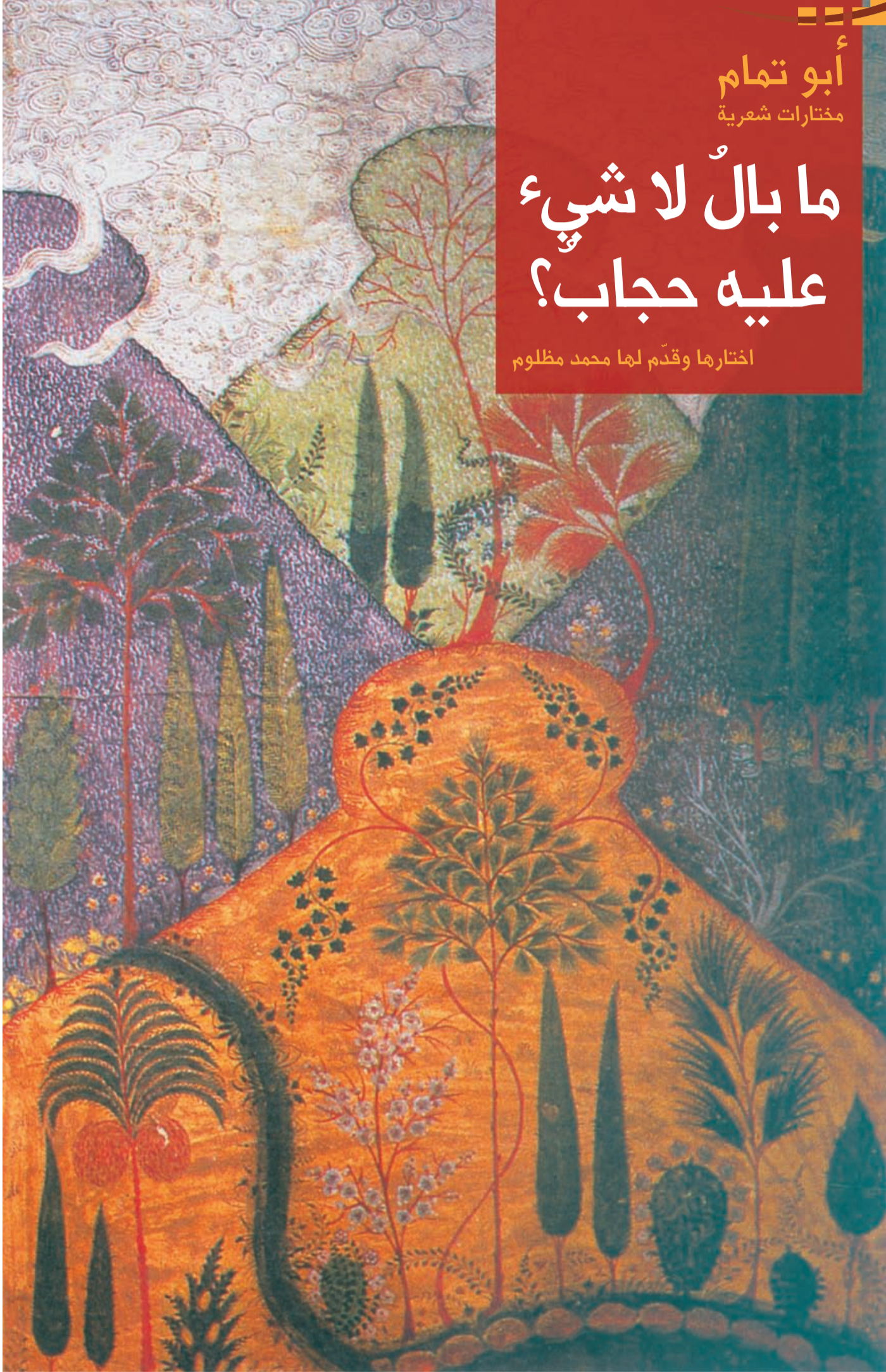


عدد 94 - الأربعاء 7 حزيران (يونيو) 2006

أصدرته منظمة اليونسكو عام 1996

شؤون
فكرية



أبو تمام
مختارات شعرية

ما بال لا شيء عليه حجاب؟

اختارها وقدم لها محمد مظلوم

النضرة



الشريك الثقافي



المؤسسة الراعية

الذكرى العاشرة لإنطلاقة «كتاب في جريدة» الذكرى الستين لتأسيس «اليونسكو»



في إطار احتفالات الذكرى الستين لتأسيس اليونسكو، والذكرى العاشرة لإنطلاقة «كتاب في جريدة»، وبدعوة من النائب غسان تويني رئيس تحرير صحيفة النهار اللبنانية، أقيم في جريدة النهار احتفال بحضور السيد كويشيرو ماتسورا مدير عام منظمة اليونسكو، والسيد طارق ميري وزير الثقافة اللبناني، والسيد مروان حمادة وزير الاتصالات والأنسة نايلة جبران تويني، والدكتور أحمد الصياد نائب مدير عام اليونسكو للشؤون الخارجية والتعاون والدكتور عبد المنعم عثمان مدير مكتب اليونسكو الاقليمي في بيروت وعدد من الشخصيات الثقافية والإعلامية والتربوية،

ولأسباب خارجة عن إرادته، لم يتمكن من الحضور معالي الشيخ محمد بن عيسى الجابر، المبعوث الخاص للمدير العام لليونسكو للتربية والديمقراطية والتسامح، راعي «كتاب في جريدة». وقد مثله في هذه المناسبة الشاعر شوقي عبدالأمير.

فيما يلي نص كلمة كل من المدير العام ومعالي الشيخ محمد بن عيسى الجابر.

كلمة السيد كويشيرو ماتسورا:

السيد الوزير،
السيد المدير،
أصحاب السعادة،
السيدات والسادة،

إن التظاهرة التي تجمعنا هذا اليوم في مقر صحيفة «النهار» بمناسبة الذكرى الستين لإنشاء اليونسكو هي بالنسبة لي مصدر إرتياح كبير وعلى أكثر من صعيد. أولاً لأنها تقام في بيروت لتشهد الطبيعة التي أردت أن أعطيها لإحياء هذه الذكرى؛ أي أن يحتفى بها خارج مقر اليونسكو وحتى خارج مواقع اليونسكو بالمعنى العريض للكلمة. ولهذا أود أن أشرككم أيها السيد مدير صحيفة النهار لسماحكم بالقيام بهذه الذكرى في هذا الإطار.

إن مصدر ارتياحي الثاني هو أن هذا الاحتفال يقام حول كتاب. كيف يمكن في بلاد بيلوس أن لا نشير إلى القيمة الجوهرية للكتابة في العلاقات بين البشر ومن أجل بناء السلام؟ إن الكتاب الذي نحتفي به اليوم يجمع التاريخ الثقافي لليونسكو أي أنه يقع في قلب وجودنا وهو ما أطلقت عليه اسم «الشعلة الخفية». يضم هذا الكتاب الذي طلبت من الفيلسوف روجيه بول دروا تحضيره منتخبات واسعة من نصوص واستشهادات من أرشيف اليونسكو تؤكد إستمرارية استلهاهم منظمات منذ تأسيسها وتعددية المشاكل التي واجهتها.

يتوجب علينا اليوم أن نحدد أين تقع الرهانات وما هي التحديات. وعلينا، في خضم المهمة التي تقع على عاتقنا، أن نحدد الاسبقيات والميادين ذات الطابع الاستراتيجي.

بعد الانتهاء مباشرة من الحرب، شكلت المعركة الصارمة من أجل إجتثاث العنصرية محوراً كبيراً سمح لليونسكو بالمساهمة بشكل حاسم بالقيام بتحول جذري للأخلاقيات. تلى ذلك التخطيط للنظم التربوية لتفرض نفسها كرهان جوهري بحيث احتلت اليونسكو موقع الصدارة في هذا الميدان. كما أن بروز مفهوم التراث المشترك للإنسانية كرد فعل للمخاطر التي كانت تتهدد في سنوات السبعين معابد النوبة قد شكلت مساهمة أساسية لليونسكو من أجل رؤية جديدة للعالم بحيث أصبح قرننا يدرك إلى أي مدى صارت هذه الرؤية حيوية من أجل مستقبل الإنسانية. وأنا شخصياً إقتنحت أن يكون التعليم للجميع والمياه وأخلاقيات العلوم والتكنولوجيا والتنوع الثقافي وبناء مجتمعات المعرفة القائمة على حرية إنتقال الأفكار، من أولى أسبقيات اليونسكو لعصرنا هذا وقد أقر المؤتمر العام هذا الاختيار.

إن النظر من بعيد إلى هذا الكتاب يظهر أن اليونسكو قد نهجت على الدوام نوعين من المبادرات: الاستباق من جهة والأمانة للاستلهاهم الأساسي الثابت في رسالة اليونسكو والذي يهدف إلى «رفع حصون السلام في عقول البشر» من جهة أخرى.

هذه المبادئ تمنحني في الواقع السبب الثالث لإحساسي بالسعادة الكبيرة في هذا الاحتفال الذي يجمعنا حيث أنه يجري في مقر صحيفة يومية كبرى.

في الواقع إن أول المبادئ التي أقرأها الميثاق التأسيسي هي «حرية إنتقال الأفكار بالنص والصورة». وهو يشكل منطلقاً لكل المبادئ الأخرى وفي نفس الوقت التعبير الأسمى عن «المثال الديمقراطي للكرامة والمساواة واحترام الكائن البشري».



إن حرية وتعددية الصحافة هما الشرطان الضروريان لممارسة حق الكرامة الذي يؤمن لكل شخص حرية البحث عن الحقيقة، الأمر الذي يفترض توفر التعددية والمستوى الرفيع لمصادر المعلومات. أود في هذا الإطار أن أحيي وبكل حماس الصحفيين اللبنانيين اللذين قدما حياتيهما وهما يمارسان عملهما الصحفي؛ سمير قصير وجبران تويني. لقد كانا كلاهما مناضلين شديدي المراس من أجل حرية التعبير والتفكير التي كم هي ضرورية من أجل تقدم الإنسانية. أعلموا أنني أشرك بكل مشاعري في الحداد الذي تكابده صحيفة «النهار» التي تعرضت مرتين خلال شهر لضربة قاسية ومن خلالها لبنان بأكمله.

وأمنى نفسي بأن جائزة «اليونسكو غويرمو كانو» لحرية التعبير قد منحت هذه السنة إلى مواطنة لبنانية كبيرة، وهي الصحفية مي شدياق التي تعرضت هي الأخرى لمحاولة إغتيال. سامحتها رسمياً بعد بضعة أيام في سيريلانكا هذه الجائزة، ليمكن هذا الامتياز الدولي من أن يحمل، باسم كل ضحايا الجرائم البشعة، شعلة الحرية الأساسية والحيوية لمستقبل الإنسانية.

السيد الوزير، السيد المدير

بعد إختيار منتخبات من هذا الكتاب «الإنسانية في طور البناء» ونشرها في «كتاب في جريدة» وهو المشروع الذي قدّمت له اليونسكو دعماً منذ انطلاقتها فإن الـ91 صحيفة المشاركة في برنامج عمله تكون قد نشرت صدق اليونسكو بين الملايين من القراء لتسهم عبر ذلك بأن تضع بين أيدي كل المواطنين والقراء ما نريد أن نقدّمه في الذكرى الستين ولهذا فأنا أشرككم من كل قلبي.

واليوم فإن نشر الكتاب بكامله في اللغة العربية هو ما يمكن أن يحدث بفضل مبادرتكم أيها السيد المدير إنطلاقاً من الترجمة التي تمت تحت رعاية اليونسكو وبمبادرة منها. لقد كنت أمل بحرارة أن ينتقل هذا الكتاب الفني بالأفكار وبالمعلومات إلى أيدي قراء اللغة العربية كما هو الحال في اللغة الفرنسية والانكليزية. وهذا ما سيكون أمراً منجزاً خلال أشهر بفضل دعم مؤسسة «النهار» بالتنسيق مع مكتبتنا في بيروت. إنني سعيد جداً وأشكر السيد شوقي عبدالأمير المندوب الدائم المساعد للعراق لدى اليونسكو الذي لم يدخر جهداً لإنجاز هذا المشروع بكامله والذي كانت فكرته منذ البداية.

يعلّمنا هذا الكتاب أن الإنسانية بجوهرها ما زالت في طور البناء وهي ليست منجزاً ولا متحققة قط. ولذا فإن من واجبتنا العمل من أجل ذلك باستمرار وأنه لشرف لليونسكو أن تشجع وتبعث الأمل في هذه المهمة.

أشرككم

كلمة الشيخ محمد بن عيسى الجابر

المبعوث الخاص للمدير العام لليونسكو للتربية والديمقراطية راعي «كتاب في جريدة»:

السيد مدير عام اليونسكو
السيد وزير الثقافة
السيد رئيس التحرير



إنها مناسبة تجمع عدّة مناسبات وكلّها مَحْمَلَةٌ بالرموز والدلالات الكبيرة،

فهي زيارة السيد كويشيرو ماتسورا مدير عام منظمة اليونسكو إلى بيروت عاصمة الثقافة العربية الدائمة،

وهي الذكرى الستون لتأسيس اليونسكو الحُضُنَ الدولي الأرحب لبناء الإنسان والسلام

وهي الذكرى العاشرة لإنطلاقة «كتاب في جريدة»، أكبر مشروع ثقافي عربي مُشترك من بيروت المكافحة دائماً من أجل مجتمع مُتحرر تعددي وديمقراطي تتعايش فيه كل أشكال الطيف الحضاري البشري عرقياً ودينيّاً، تحت سَقَفِ صحيفة «النهار»، التي أحتفلت هي الأخرى بالذكرى السبعين لتأسيسها قبل أعوام، منبر الكلمة الحرة التي قدّمت من أجله قبل بضعة شهور شهيدين من أبنائها (جبران تويني وسمير قصير) اللذين أفاضوا دماءهم حبراً وكلمات أكثر إشعاعاً وخُلُوداً،

وما هي منظمة اليونسكو ممثلة بالسيد المدير العام تقدّم جائزة حرية الصحافة العالمية لهذا العام 2006 للصحفية التلفزيونية اللبنانية التي تعرّف اليوم بـ «الشهيدة الحية مي شدياق» لتؤكد كما في كل مرة وقوفها دائماً وأبداً في صفّ أحرار العالم من أجل بناء إنسانية أفضل سعياً وراء المبادئ السامية التي تحملها اليونسكو، واستكمالاً للمسيرة الإنسانية الطويلة من أجل تربية جيل قائم على المعرفة والديمقراطية والتسامح...

إن إجتماعاً كهذا لا يمكن إلا أن يكون شعلة مكنّزة بالنور والعطاء والأمل...

وبهذه المناسبة فإنني أود أن أعبّر لكم عن سعادتني البالغة بالسير يداً بيد مع منظمة اليونسكو لدعم كل مشاريعها التنويرية والإنسانية في مجتمعنا العربي من محيطه إلى خليجه وأن أضع نفسي في خدمة المثل الإنسانية العليا التي من أجلها شُيدت منظمة اليونسكو لأنني أؤمن بأن لهذه المنظمة دوراً كبيراً بين ظهرانينا وأنا اليوم في كل الدول العربية بحاجة إلى حضورها ومشاركتها في جميع ميادين إختصاصها...

ومن أجل هذا سبق لي أن وقّعت بروتوكولاً طموحاً مع السيد كويشيرو ماتسورا في 2002 من أجل تطوير، تحديث وإصلاح النظام التعليمي في الشرق الأوسط والذي بدأ فعلاً تنفيذه بما يسمح للنهوض بمشاريع تنموية كبرى وتشجيع ثقافة السلام وبناء الديمقراطية بالإضافة إلى التنبّي الكلي لمشروع اليونسكو الرائد والذي كان يمر بفترة عصيبة «كتاب في جريدة» وهو اليوم يدرك سنته العاشرة تحت رعايتنا ودعمنا.

إن «كتاب في جريدة» هو الخيمة العربية الكبرى التي تجتمع القارئ العربي في كل مكان وقد أصبح اليوم بعد عشرة سنوات من تأسيسه صرحاً ثقافياً في حاضرنا العربية وجسراً لا بد منه بين مبدعي الكلمة وقراءها، من أجل نشر المعرفة وبناء الإنسان العربي في عصر حوار الحضارات والعولمة.

وأود في الختام أن أقول مع السيد المدير العام في كلمته بمناسبة الذكرى الستين لليونسكو:

«إن علينا أن نركّز اهتمامنا على الإلهام الأخلاقي لليونسكو والحوار والتعاون وإرساء المعايير وتناسق تطورها وسبل رقيها... من أجل إعادة استكشاف الشعلة الخفية لليونسكو» فالإنسانية حقاً – كما هو عنوان كتابنا – هي دائماً في طور البناء وأن دور اليونسكو هو المشاركة في هذه المهمة الهائلة وإنه ليشرقني أن أقدم مساهماتي المتواضعة في دعم مسيرتها النبيلة هذه.

مختارات شعرية

ما بال لا شيء عليه حجاب؟ أبو تمام

اختيار وتقديم محمد مظلوم

ولد أبو تمام : حبيب بن أوس بن الحارث الطائي الحوراني سنة 188 هجرية - 804 ميلادية، في قرية جاسم على بعد حوالي خمسين كيلومتراً عن دمشق، قال ابن خلكان في وفيات الأعيان: «وأصله من قرية جاسم من عمل الجيدور بالقرب من طبرية».

انتقل إلى دمشق حيث عمل في حداثته حائكاً، ثم انتقل إلى حمص وتعرف فيها على ديك الجن الحمصي ومنها بدأت رحلته مع الشعر، ثم غادر إلى مصر في صباه، فعمل سقاء في المسجد الجامع، ذاع صيته فاستقدمه المعتصم إلى عاصمته الجديدة: سامراء بعد أن أنتقل إليها من بغداد، تنقل في آسيا الوسطى وأقام فترة في خراسان.

مما جاء عنه في الأغاني «ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه» وكان قد امتدح عبد الله بن طاهر أمير خراسان فنثر عليه الأخير ألف دينار، فلم يلتقط منها شيئاً بل تركها لمن حوله بلتقطنها.

البحث عن شخصية أبي تمام في متون كتب التراث سيصطدم بقلق متعدد الأوجه سواء في نسبه أو في ديانته أو في مذهبه السياسي، إضافة إلى ارتحالات لا تخلو من نزوع لطموح غير مدرك، ما بين مدن الشام ومصر والعراق وخراسان ستشابهها بعد حين رحلة المتنبي وتتصل بقلقه، نسبة ومذهباً سياسياً وتعبيراً عن هذا القلق. إذ يستند المستشرق الإنكليزي دافيد صموئيل مارجليوث على واحدة من الروايات التي ترد ضمن أقوال متعددة تشير إلى أن أباه كان نصرانياً ويدعى تيدوس العطار فغيره إلى أوس، وانتسب إلى طيء.

وذهب طه حسين نحو أبعد مما رآه مارجليوث حين بنى على اسم «تيدوس» فكرة سعى من خلالها إلى إيجاد تفسير مفترض لجذور الثقافة العميقة في شعر هذا الإعرابي، ففقد نوعاً من الصلة بين فكر أبي تمام الذي تطفح به أشعاره ومرجعيته، وبين «حكمة أثينا» مشيراً إلى إن اسم تيدوس قد يشير إلى الأصول الإغريقية، ويفسر هذه الثقافة المغايرة في تجربته الشعرية.

وسواء كان مسلماً أم مسيحياً، عربياً أم يونانياً، فإن تاريخ الشعر العربي لم يخبرنا عن شاعر حاز المعرفة بتراث الشعر العربي، وبأخبار الأولين وأنسابهم كأبي تمام، إذ له العديد من كتب المختارات الشعرية أشهرها الحماستان: الحماسة الكبرى «ديوان الحماسة» و«الوحشيات» وهو «الحماسة الصغرى» إضافة إلى «فحول الشعراء» و«أشعار القبائل»

يميل النقد العربي القديم إلى عقد مقارنة بينه وبين المتنبي والبحري، حتى أن الأمدى خصص كتاباً، أسماه «الموازنة بين الطائيين» لكن البحري نفسه يحسم الأمر بقوله: نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سماءه.

كما إنه سبق المتنبي في إشغال الناس والنقاد بأمرين هما: حقيقة نسبه، ومستوى شعره ومقايسته بمعاصريه والقريبين منه، بينما عاش في عصر لم يجد فيه مرجحين كثيراً، ولم تبد حياته مستقرة في أي من الأماكن التي عاش فيها وهو ما يتضح في

شعره، بتعبيرات متعاضدة عن قلق الإقامة، ووحشة السفر، وطلب الأصب. توفي في الموصل سنة 231 هـ - 846 م بعد أن عاش فيها سنتين والياً على بريدها.

يمكن وصف أبي تمام بأنه شاعر الطبع والصنعة بامتياز، وهو سيد الصور المركبة من غرائب التشبيهات، والعلاقات غير المعهودة بين المفردات في الشعر العربي والنحت الصعب والزخرفة الباروكية العميقة التي لا تتوقف عند حدود الديباجة بل تذهب نحو تزيين الباطن الصعب للمعاني، وتعد تراكيبه اللغوية، بالمسالك الوعرة التي تسلكها، تمهيداً لمسارات لم تكن مطروقة في الشعر العربي قبل أن يسير بها أبو تمام ركبها.

قصيدته مجلجلة كالحروب التي يوغل في وصفها بقدرة تقارب الملحمة، وهي مؤارة بالصور المبتكرة ذات الأطياف العميقة المستمدة من تجربة في التجوال، وتأمل في الوحدة، وفي معرفة أخبار الأولين وأيامهم وعقائدهم، وقد أتاحت له ثقافته تلك، قاموساً بعيد الغور في تناول المعاني والتقاط جديدها، وشعره يصلح أن يكون نموذجاً متقدماً لدراسة الموارد المعرفية التي تصب في بحر قصيدته. اعتمدت هذه المختارات على شعر أبي تمام خالصاً ومخلصاً من وطأة مناسباته، في نسق شعري يتلبس غالباً بالفرض، لكنه يتجلى في صفائه، حتى وهو في غرضه، كما في الأغلب من مرثياته.

والحاصل إن مدائح أبي تمام ذاتها تدرج في سياق «الفرض الشعري» أكثر من اندراجها في تعظيم السلطان، خاصة وإن عدد ممدوحيه زاد على الخمسين، وليس جميعهم من ذي النفوذ العالي.

اختيار عنوان «ما بال لا شيء عليه حجاب» لهذه المختارات، وهي شطر من أحد أبياته، لم يأت لقوة جذبه التعبيرية فحسب، بل لأنه يجسد في كثافته إحدى الشيمات الأساسية التي ستبرز أمام القارئ لهذه المختارات دون شك.

كما حاولت إعطاء هذه المختارات صفة «المجموعة الشعرية» وبما يجعل منها في الوقت نفسه متضمنة صورة تقريبية عن مجمل شعر أبي تمام، بشقيه الفني وبتجربته الذاتية، إذ تبدو هذه التجربة في سياق الديوان الكامل وكأنها مبددة في أغراض متعددة.

رأيت من الضرورة شرح بعض المفردات في القصائد، خاصة وإن بعضها لا يقف عند حدود المعاني المعجمية، وإنما يتصل بعهد ثقافي آخر.

ربما من المهم الإشارة إلى إن معظم القراءات التي تصدت لتقييم شعر أبي تمام انطلقت في الواقع من «مناقشة» للآراء النقدية التي تناولت تجربته، ولذلك فإن معظم الآراء المتحصلة من تلك القراءات لا تخرج عن ثنائية التجليل / التكتيل، من هنا تبقى قراءة فنية جمالية متخففة من عبء الإرث النقدي الذي يحيط بشعره، حاجة حقيقية رغم ما يكتنفها من صعوبات وسط هذا الخضم الواسع من الآراء المتناقضة، خاصة وإن شعره لا يزال حجة فنية في تأويل علاقة القارئ بالشعر في زمننا المأزوم ومأزقنا التعبيري.

الفن الإسلامي

الصور والرسوم التي ترافق هذا العدد اختيرت من عدد من المؤلفات الخاصة بتاريخ الفن الإسلامي أهمها: «تاريخ الفن - التصوير الاسلامي» - د. ثروت عكاشة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - 1977.

وقد توخينا في ذلك إعطاء مناخ تشكيلي مقارب جهد الإمكان للفترة التي عاشها أبو تمام وكذلك إختيار موضوعات المنمنات أو الرسوم. هذه الرسوم لا تنشر هنا للمرة الأولى ولكنها في غالبيتها غير معروفة للطبقة الكبيرة من قراء «كتاب في جريدة» ومن هنا أهمية إعادة نشر البعض منها.

يشكر «كتاب في جريدة» الدكتور هشام نشابة، رئيس مجلس إدارة المعاهد العليا في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، عضو الهيئة الاستشارية في «كتاب في جريدة»، للمساعدة التي قدمها لنا في هذا الإطار من خلال توفيره العديد من المؤلفات القيمة الموجودة في المكتبة العامة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.

الراعي

محمد بن عيسى الجابر
MBI FOUNDATION

المؤسس

شوقي عبد الأمير

المدير التنفيذي

ندى دلّال دوغان

الإستشارات الفنية

صالح بركات
غاليري أجيال، بيروت.

المقرّ

بيروت، لبنان

يصدر بالتعاون

مع وزارة الثقافة

تصميم وإخراج

Mind the gap, Beirut

المحرر الأدبي

محمد مظلوم

سكرتاريا وطباعة

هناء عيد

المطبعة

يول ناسيميان،
يوميفرافور برج حمود بيروت

الإستشارات القانونية

«القولتي ومشاركوه - محامون»

الإستشارات المالية

ميرنا نعمي

المتابعة والتنسيق

محمد قشمر

الهيئة الاستشارية

أدونيس

أحمد الصياد

أحمد بن عثمان التويجري

جابر عصفور

جودت فخر الدين

سلمى حفار الكزبري

سمير سرحان

سيد ياسين

عبد الله الغذامي

عبد الله يتيم

عبد العزيز المقالح

عبد الغفار حسين

عبد الوهاب بو حديبة

فريال غزول

محمد ربيع

مهدي الحافظ

ناصر الظاهري

ناصر العثمان

نهاد ابراهيم باشا

هشام نشابة

يمنى العيد

الصحف الشريكة

الأهرام القاهرة

الأيام رام الله

الأيام المنامة

تشرين دمشق

الثورة صنعاء

الخليج الإمارات

الدستور عمّان

الرأي عمّان

الرؤية الدوحة

الرياض الرياض

الشعب الجزائر

الشعب نواكشوط

الصحافة الخرطوم

العرب طرابلس الغرب وتونس

مجلة العربي الكويت

القدس العربي لندن

النهار بيروت

الوطن مسقط

خضع ترتيب أسماء

الهيئة الإستشارية

والصحف للتسلسل الألفبائي

حسب الاسم الأول

كتاب في جريدة

العدد الثامن والعشرون

التسلسل العام : عدد رقم 94

(7 حزيران 2006)

ص.ب 11-1460 . بيروت، لبنان

تلفون / فاكس 248 630 (1-961+)

تلفون 330 219 (3-961+)

kitabfj@cyberia.net.lb

kitabfjarida@hotmail.com

صورة الغلاف:
عن مخطوطة تضم مختارات من النصوص الصوفية تعود إلى نهاية القرن الرابع عشر في إيران متحف الفن التركي والإسلامي، اسطنبول.

مختارات شعرية ما بال لا شيء عليه حجاب؟ أبو تمام

ليل القصيدة

جَاءَتْكَ مِنْ نَظْمِ اللِّسَانِ قِلَادَةٌ
حَدِيثٌ حِذَاءَ الحَضْرَمِيَّةِ أُرْهِفَتْ
إِنْسِيَّةٌ وَحَشِيَّةٌ كَثُرَتْ بِهَا
يَنْبُوعُهَا حَضِلٌ وَحَلِيٌّ قَرِيضُهَا
أَمَّا المَعَانِي فَهِيَ أَبْكَارٌ إِذَا
أَحْدَاكَهَا صَنَعَ اللِّسَانُ يَمُدُّهُ
وَيْسِيءُ بِالإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنْ
سَمَطَانَ فِيهَا اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ
وَأَجَادَهَا التَّخْصِيرُ وَالتَّلْسِينُ
حَرَكَاتُ أَهْلِ الأَرْضِ وَهِيَ سَكُونُ
حَلِيِّ الهَدْيِ وَنَسَجَهَا مَوْضُونُ¹
نَصَّتْ وَلَكِنَّ القَوَائِي عَوْنُ
جَفَرٍ إِذَا نَضَبَ الكَلَامُ مَعِينُ²
هُوَ بَابِنِهِ وَيَشْعِرُهُ مَفْتُونُ

وليلها الآخر..

حَذَّهَا مُعْرَبَةً فِي الأَرْضِ أَنْسَةَ
مَنْ كُلِّ قَافِيَةٍ فِيهَا إِذَا اجْتَنَيْتُ
الجِدُّ وَالهِزْلُ فِي تَوْشِيحِ لِحْمَتِهَا
لَا يَسْتَقِي مِنَ جَفْرِ الكُتْبِ رَوْنَقُهَا
بِكُلِّ فَهْمٍ غَرِيبٍ حِينَ تَعْتَرِبُ
مَنْ كُلِّ مَا يَجْتَنِيهِ المَذْنَفُ الوَصْبُ
وَالنَّبْلُ وَالسُّخْفُ وَالأَشْجَانُ وَالطَّرْبُ
وَلَمْ تَزَلْ تَسْتَقِي مِنَ بَحْرِهَا الكُتْبُ

رقص الدراويش - المكتبة البودلية بأكسفورد.

السراب في فناء البيت.

فَاضَ اللِّثَامُ وَغَاضَتِ الأَحْسَابُ
فَكَأَنَّ يَوْمَ البَعْثِ فَاجَأَهُمْ فَلَابُ
هَبَّ مَنْ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ حِجَابَهُ
مَا إِنْ سَمِعَتْ وَلَا أَرَانِي سَامِعًا
مَنْ كَانَ مَفْقُودَ الحَيَاءِ فَوَجَّهَهُ
مَازَالَ وَسَوَاسِي لِعِقْلِي خَادِعًا
مَا كُنْتُ أَدْرِي - لَا دَرَيْتُ - بَأَنَّهُ
وَاجْتَثَّتِ العَلِيَاءُ وَالأَدَابُ
أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ وَلَا أَسْبَابُ
مَا بَالُ لاشيءٍ عَلَيْهِ حِجَابُ؟
أَبْدَأُ بِصَحْرَاءٍ عَلَيْهِ بَابُ
مِنْ غَيْرِ بَوَابٍ لَهُ بَوَابُ
حَتَّى رَجَا مَطْرًا وَلَيْسَ سَحَابُ
يَجْرِي بِأَفْنِيَةِ البُيُوتِ سَرَابُ.

¹ الهدى: ما يهدى إلى الحرم من الأتعام والأكباش، والموضونة المنسوجة بالجواهر.. جاء في القرآن الكريم: (على سرر موضونة)

² الجيفر: البئر الواسعة



درويش يتأمل - من تصوير رضا عباسي - دار الكتب القومية بباريس.

خليفة الخضر

ما اليوم أول توديع ولا الثاني
دع الفراق فإن الدهر ساعده
خليفة الخضر من برقع على وطن
بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا
وما أظن النوى ترضى بما صنعت
خلقت بالأفق الغربي لي سكتاً
غصن من البان مهتز على قمر
أفنت من بعده فيض الدموع كما
وليس يعرف كنه الوصل صاحبه
السين أكثر من شوقي وأحزاني
فصار أملك من روعي بجثماني
في بلدة فظهور العيس أوطاني
بالرقتين، وبالفسطاط إخواني
حتى تطوح بي أقصى خراسان
قد كان عيشي به حلواً بحلوان
يهتز مثل اهتزاز الغصن في البان
أفنت في هجره صبري وسلواني
حتى يغادي بناي أو بهجران

كسوف أبيض!

نسخ المشيب له لفاعاً مغدفاً
نظر الزمان إليه قطع دونه
ما اسود حتى ابيض كالكرم الذي
لما تفتوت الخطوب سوداها
ما كان يخطر قبل ذا في فكره
يقف فتنع مذرويه ونصفاً³
نظر الشقيق تحسراً وتلهفاً
لم يأن حتى جيء كيما يقظفاً⁴
ببياضها عبت به فتفوفاً⁵
في البدر قبل تمامه أن يكسفاً

بحر في الحد

كذا فليجل⁵ الخطب وليفدح الأمر
توقيت الأمال بعد محمد
وما كان إلا مال من قل ماله
وما كان يدري مجتدي جود كفه
ألا في سبيل الله من عطلت له
فتى كلما فاضت عيون قبيلة
فتى مات بين الضرب والطعن ميتة
وما مات حتى مات مضرب سيفه
وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه
ونفس تعاف العار حتى كأنه
فأثبت في مستنقع الموت رجله
غداً غدوة والحمد نسج ردائه
تردى ثياب الموت حمراً فما أتى
فتى كان عذب الروح لا من غصاصة
فتى سلبته الخيل وهو حمى لها
وقد كانت البيض المأثير في الوغى
أمن بعد طي الحادثات محمداً
إذا شجرات العرف جذت⁶ أصولها
لئن أبغض الدهر الخؤون لفقده
سقى الغيث غيثاً وارت الأرض شخصه
وكيف احتمالي للسحاب صنيعة
مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة
فليس لعين لم يفرض ماؤها عذر
وأصبح في شغل عن السفر السفر
وذخراً لمن أمسى وليس له ذخراً
إذا ما استهلته أنه خلق العسر
فجأج سبيل الله وانشعر الشجر
دماً ضحكت عنه الأحاديث والذكر
تقوم مقام النصر إن فاته النصر
من الضرب واعتلت عليه القنا الشمر
إليه الحفاظ المر والخلق السور
هو الكفر يوم الروح أو دونه الكفر
وقال لها: من تحت أخصك الحشر
فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر
لها الليل إلا وهي من سندس خضر
ولكن كبراً أن يقال به كبراً!
وبزته نار الحرب وهو لها جمر
بواتر فهي الآن من بعده بئر
يكون لأثواب السدى أبداً نشر
ففي أي فرع يوجد الورق النضر؟
لعهدي به ممن يحب له الدهر
وإن لم يكن فيه سحاب ولا قطر
بإسقاتها قبراً وفي لحد البحر!
غداة نوى إلا اشتهدت أنها قبر

³ مغدفاً: الواسع والمسترسل واليقق: البياض، ومذرويه (أي جانبي رأسه بمعنى: فوديه)

⁴ تفوف: تجاور البياض مع السواد، وبُرد مفوف: مخطط بالأبيض.

⁵ عدا عن الاستهلال غير المعهود في الشعر العربي «بكذا» نجد إن الفعل المضارع «يجل» مبني على الفتح هنا، وذلك لاتصاله بنون توكيد محذوفة، لاجتماع لام الأمر والتوكيد.

⁶ جذت: قطعت

لا أنت أنت

لا أنت أنت ولا السديار ديار
كانت مجاورة الطلول وأهلها
أيام تدمي عينه تلك الدمي
إذ لا صدوف ولا كنود أسماهما
بيض فهن إذا رمقن سوافراً
في حيث يمتهن الحديث لذي الصب
إذ في القتادة وهي أبخل أيكه

وطن سوي وطني

أراك أكبرت إدماني على الدمن
لا تكترن ملامي إن عكفت على
سلوت إن كنت أدري ما تقول إذن
الحب أولى بقلبي في تصرفه
حلبت صرف النوى صرف الأسي وحداً
ما وجدت على الأحشاء أوقد من
صيرت لي من تباري عبرتي سكتاً
من ذا يعظم مقدار السرور بمن
البيد والعيس والليل التمام معاً

وحملي الشوق من باد ومكتمن⁹
ربع الحبيب فلم أعكف على وثن
مجت مقالتها في وجهها أذني
من أن يغادرتي يوماً بلا شجن
بالبت في دولة الإغرام والددن¹⁰
دمع على وطن لي في سوي وطني
مذ صرت فرداً بلا ألف ولا سكن
يهوى إذا لم يعظم موضع الحزن؟
ثلاثة أبداً يُقرن في قرن.



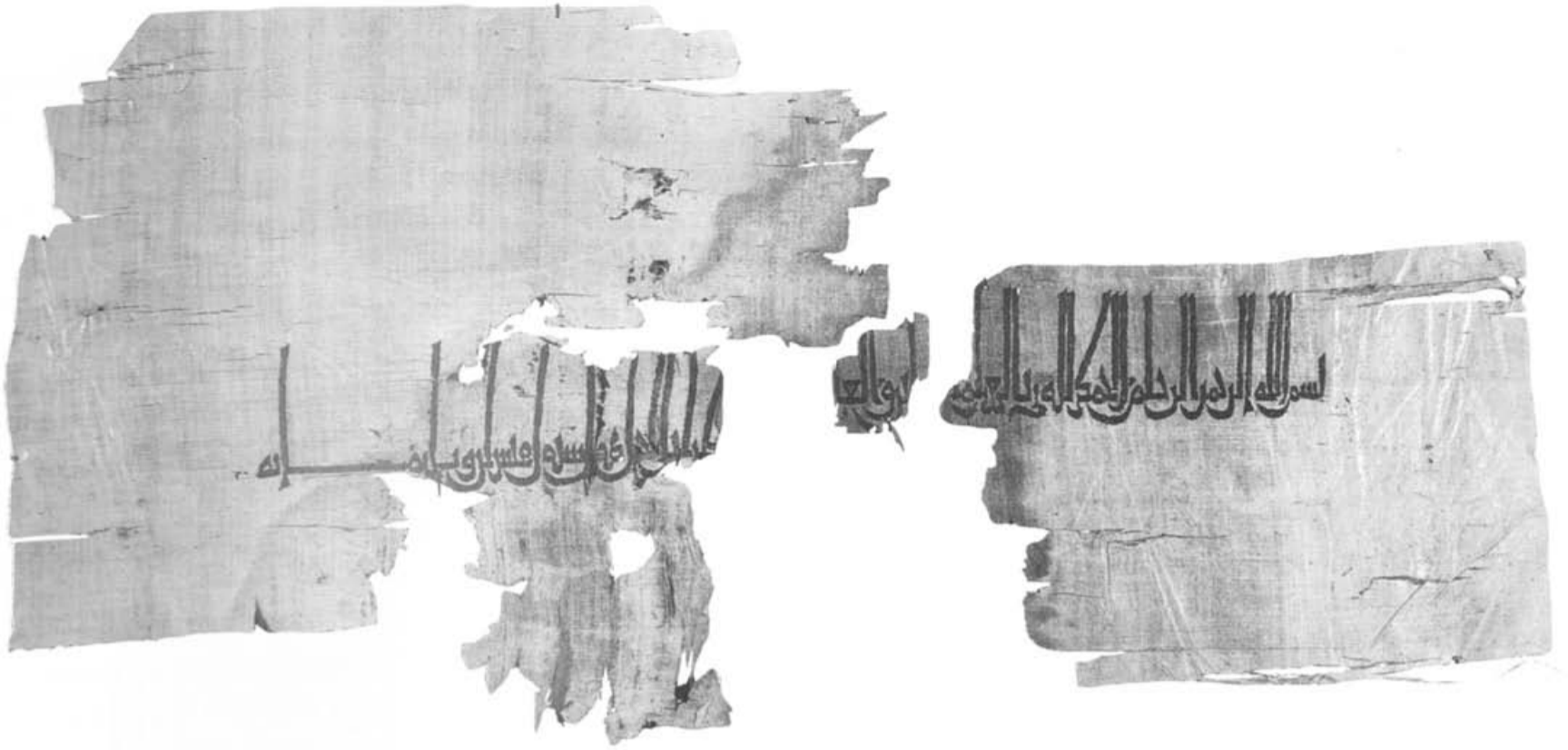
شاعر في حديقة - الطراز المنغولي، 15 - 1605 - متحف الفنون الجميلة، بوسطن.

⁷ الصدوف : الإعراض عن الشيء، والكنود: الكفر بالنعمة

⁸ الصور، قطع البقر المتوحش

⁹ المكتمن: الخافي المضمهر.

¹⁰ الددن: اللهو واللعب



رسم قماش - القرن العاشر 932م (العراق أو إيران) - متحف الأقمشة، واشنطن.

شرق وغرب

لَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ دَارِ مَاوِيَةَ الْحُقْبُ وَعَهْدِي بِهَا إِذْ نَاقَضَ الْعَهْدَ بَدْرَهَا مُؤَزَّرَةً مِنْ صَنْعَةِ الْوَبْلِ وَالنَّدَى تَحْيِيرٌ فِي أَرَامِهَا الْحُسْنُ، فَاعْتَدَتْ سَوَاكِينَ فِي بَرٍّ كَمَا سَكَنَ الدَّمَى كَوَاعِبُ أْتْرَابٍ لَغِيْدَاءَ أَصْبَحَتْ لَهَا مَنْظَرٌ قَيْدُ النَّوَظِرِ لَمْ يَزَلْ يَظَلُّ سَرَاةَ الْقَوْمِ مَثْنَى وَمَوْحِدًا مَضُومًا وَهُمْ أَوْتَادُ نَجْدٍ وَأَرْضِهَا وَمَا كَانَ بَيْنَ الْهَضْبِ فَرْقٌ وَبَيْنَهُمْ لَهُمْ نَسَبٌ كَالْفَجْرِ مَا فِيهِ مَسَلِكٌ فَمَادِبٌ إِلَّا فِي بِيوتِهِمُ النَّدَى وَلَمَّا رَأَى تَوْفِيلٌ رَأْيَاتِكَ الَّتِي تَوْلَى وَلَمْ يَأَلُ الرَّدَى فِي اتِّبَاعِهِ كَانَ بِلَادِ الرُّومِ عَمَّتْ بِصِيحَةِ وَمِرْوَانَ الْكَرْبِ تَلْفَحَ قَلْبَهُ مَضَى مُدْبِرًا شَطْرَ الدَّبُورِ، وَنَفْسُهُ جِفا الشَّرْقِ حَتَّى ظَنَّ مِنْ كَانَ جَاهِلًا أَنْحَلُ الْمَغَانِي لِلبَلَى هِيَ أَمْ نَهَبُ! مُرَاحُ الْهَوَى فِيهَا وَمَسْرَحُهُ الْخِصْبُ بُوْشِي وَلَا وَشِي، وَعَصَبٌ وَلَا عَصَبٌ قَرَارَةٌ مَنْ يُصْبِي وَنُجْعَةٌ مَنْ يَصْبُو¹¹ نَوَافِرٌ مِنْ سُوءٍ كَمَا نَفَرَ السَّرْبُ¹² وَلَيْسَ لَهَا فِي الْحُسْنِ شَكْلٌ وَلَا تَرِبٌ يَرُوحُ وَيَغْدُو فِي خُفَارَتِهِ الْحُبُّ نَشَاوَى بَعِينِيهَا كَأَنَّهُمْ شَرِبُ يَرُونَ عِظَامًا كَلَّمَا عَظُمَ الْخَطْبُ سَوَى أَنَّهُمْ زَالُوا وَلَمْ يَزَلِ الْهَضْبُ خَفِيًّا وَلَا وَادٍ عَنُودٌ وَلَا شَعْبٌ وَلَمْ تَرِبْ إِلَّا فِي جُحُورِهِمُ الْحَرْبُ مَسِيرَةٌ شَهْرٌ فِي كِتَابَتِهِ الرُّعْبُ إِذَا مَا اتَّلَّيْتُ لَا يَقَاوِمُهَا الصُّلْبُ¹³ كَانَ الرَّدَى فِي قِصْدِهِ هَائِمٌ صَبُ فَضَمَّتْ حَشَاهَا أَوْ رَغَا وَسَطَهَا السَّقْبُ وَمَا الرُّوحُ إِلَّا أَنْ يُخَامِرَهُ الْكَرْبُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ سُوءِ ظَنِّ بِهَا الْبُ¹⁴ بَدِينِ النَّصَارَى أَنْ قَبِلَتْهُ الْعَرَبُ

شمس يوشع

أَمَا إِنَّهُ لَوْلَا الْخَلِيْطُ الْمَوْدَعُ لَرُدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهَا أَرْيَحِيَّةٌ لِحَقْنَا بِأَخْرَاهِمِ وَقَدْ حَوَمَ الْهَوَى فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ نَضًا ضَوْوَهَا صَبِغَ الدَّجَنَةَ فَانطَوَى فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَلْحَلَامُ نَائِمٌ وَعَهْدِي بِهَا تُحْيِي الْهَوَى وَتَمِيئُهُ وَأَقْرَعُ بِالْعَتَبِيِّ حُمِيًّا عِتَابِهَا أَلَمْ تَرَ أَرَامَ الطَّبَّاءِ كَأَنَّمَا لَثَنَ جِزَعُ الْوَحْشِيِّ مِنْهَا لِرُوَيْتِي غَدَا الْهَمُّ مَخْتَطًا بِفُودِي خِطَّةٌ هُوَ الزُّورُ يَجْفَى، وَالْمَعَاشِرُ يَجْتَوِي لَهُ مَنظَرٌ فِي الْعَيْنِ أبيضٌ ناصعٌ لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءَ مَجْدُ ابْنِ يُوْسُفَ أَخَذَتْ بِحَبْلِ مِنْهُ لَمَّا كَوَيْتُهُ هُوَ السَّبِيلُ إِنْ وَاجِهْتَهُ انْقَدَتْ طَوْعَهُ يَقُولُ فَيَسْمَعُ وَيَمْشِي فَيُسْرِعُ¹⁶ إِذَا كَانَتْ النُّعْمَى سَلُوبًا مِنْ أَمْرِي وَإِنْ عَثَرْتُ سُودَ اللَّيَالِي وَبِيضُهَا وَرَبِيعٌ عَفَا مِنْهُ مَصِيفٌ وَمَرْبَعٌ مِنَ الشُّوقِ وَادِيهَا مِنَ الْهَمِّ مُتْرَعٌ قُلُوبًا عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَهِيَ وَقَعُ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخَدْرِ تَطْلُعُ لِبَهْجَتِهَا ثُوبُ السَّمَاءِ الْمُجَزَّعُ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرُّكْبِ يُوْشَعُ وَتَشَعْبُ أَعْشَارَ الْفُؤَادِ وَتَصْدَعُ وَقَدْ تَسْتَقِيدُ الرِّاحَ حِينَ تَشْعَشَعُ رَأَتْ بِي سَيْدَ الرَّمْلِ¹⁵ وَالصَّحْبُ أَدْرَعُ لِإِنْسِيئِهَا مِنْ شَيْبِ رَأْسِي أَجْزَعُ طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ مَهِيْعٌ وَذُو الْإِلْفِ يُقْلَى، وَالْجَدِيدُ يَرْقَعُ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بَدِي الْفَضْلِ مَوْلَعٌ عَلَى مَرْرِ الْأَيَّامِ ظَلَّتْ تَقْطَعُ وَتَقْتَادُهُ مِنْ جَانِبِهِ فَيَتَّبِعُ وَيَضْرِبُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ فَيُوجِعُ غَدَتْ مِنْ خَلِيجِي كَفَّهُ، وَهِيَ مَتَبِعُ بِوَحْدَتِهِ الْفَيْتَهَا وَهِيَ مَجْمَعُ

¹¹ الأرام: المرتفعات، والنجعة المكان ذو العشب ومنه: المنتجع

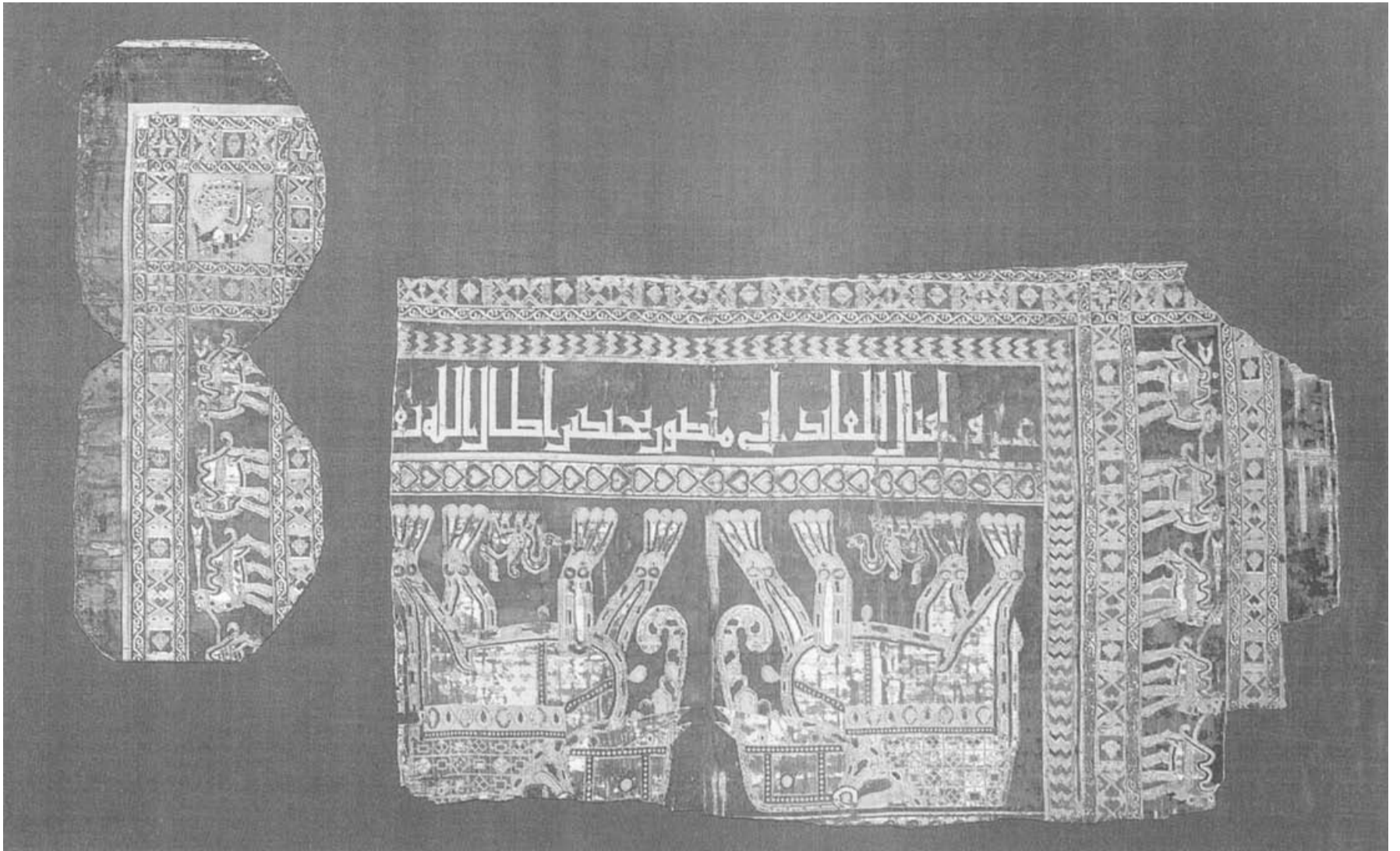
¹² الدمى: الأصنام، والسرب: قطع الماشية

¹³ توفيل: ملك الروم أيام المعتصم، واتلأبت: استقامت واستوت

¹⁴ الألب: من التاليب.

¹⁵ يرى الأمدى إن أبان تمام يريد بسيد الرمل: الذئب، إذ تنفر منه النساء لشبهه كما تنفر الظباء من الذئب!

¹⁶ يكثر في شعر أبي تمام مثل هذه التصرفات في أوزان الشعر، بالبحر الطويل خاصة، أو ما يسميه الأمدى باضطراب الوزن، ومن الواضح هنا، كما في أبيات أخرى، إن تصرف أبي تمام، مقصود ولا يتعارض مع موسيقى الشعر.



نسيج سان جوس - إيران أو آسيا الوسطى، القرن العاشر 961م - متحف اللوفر، باريس.

فليتق الله سائله

أجل أيها الربع الذي خف أهله
وقفت وأحشائي منازل للأسى
أسألكم ما باله حكم البلى
بيوم تريك الموت في صورة النوى
تيقنت أن البين أول فاتك
يعنفني أن ضقت ذرعاً بنايه
أتتك أمير المؤمنين وقد أتى
وصلن السرى بالوخذ في كل صحصح¹⁷
رواحلنا قد بزنا هم أمرها
إذا خلع الليل النهار رأيتها
أنته مغذاً قد أتاه كأنها،
هو اليم من أي النواحي أتيت
تعود بسط الكف حتى لو أنه
ولو لم يكن في كفه غير روحه

لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله
به، وهو قفر قد تعفت منازل
عليه، وإلا فاتركوني أسائله
أواخره من حسرة وأوائله
به مذ رأيت الهجر، وهو يغازل
ويجزع أن ضاقت عليه خلاخله
عليها الملاء أذمائه وجرأوله
وبالسهد الموصول والنوم خاذله
إلى أن حسبنا أنهن رواحله
بارقالها من كل وجه تقابله
ولا شك، كانت قبل ذلك ترأسله
فلجته المعروف والجود ساحله
ثناها لقبض لم تجبه أنامله
لجاد بها، فليتق الله سائله

خضاب الله وخضابي

لو أن دهرأ رد رجع جواب
لعدلته في دمنتين برامة
ثنتان كالممرين حف سناهما
طمين كل ريم لم ترم سوءاً ولم
أذكت عليه شهاب نار في الحشا
عدلاً شبيهاً بالجنون كأنما
أو ما رأيت بردي من نسج الصبي

أو كف من شأويه طول عتاب
ممحوتين لزينب ورباب
ممحوتين لزينب ورباب
تخلط صبي أيامها بتصابي
بالعدل وهنا أخت آل شهاب
قرأت به الورهاء شطر كتاب¹⁸
قرأت به الورهاء شطر كتاب¹⁸

ما الحب إلا..

البين جرعني نقيع الحنظل
ما حسرتي أن كدت أقضي إنما
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
كم منزل في الأرض بألفه الفتى

والبين أكلني وإن لم أكل
حسرات نفسي أنني لم أفعل
ما الحب إلا للحبيب الأول
وحنينه أبداً لأول منزل.

¹⁷ الدماث: السهول، والجرأول: الأرض الصلبة ذات الحجارة
الخشنة، والوخذ نوع من سير الإبل، والصحصح الأرض الواسعة
المستوية.

¹⁸ الورهاء: الحمقاء الخرقاء

ليل تقتتل فيه القوافي

ما أقبلت أوجه اللذات سافرة
إن شئت ألا ترى صبراً لمصطبر
كأنما جاد مغناه، فغيره
ولوترأهم وإيانا وموقفنا
من حرقة أطلققتها فرقة أسرت
وقد طوى الشوق في أحشائنا بقر
فرغن للسحر حتى ظل كل شج
بخزي ركام النقا ما في مازرها
تكاد تنتقل الأرواح لو تركت
طلت دماء هريقت عندهن كما
هانت على كل شيء فهو يسفكها
بالقائم الثامن المستخلف أطادت
لو كان في عاجل من أجل بدل
تغاير الشعر فيه إذ سهرت له
لولا قبولي نصح العزم مرتجلاً
له رياض ندى لم يكب زهرتها
مدى العفاة²⁰ فلم تحلل به قدم
ما إن يبالي إذا حلى خلائقه
أبو النجوم التي ما ضن ثاقبها
من كل مشتهر في كل معترك
يحميه للأوه أو لودعيته
جليت والموت مبد حر صفحته
قد جاء من وصفك التفسير معتدراً

مذ أدبرت باللوى أيامنا الأول
فانظر على أي حال أصبح الطلل
دموعنا، يوم بانوا، وهي تنهمل
في مأم البين لاستهلالنا زجل
قلبا ومن غزل في نحره عدل
عين طوتهن في أحشائها الكلل
حران في بعضه عن بعضه شغل
ويفضح الكحل في أجفائها الكحل
من الجسوم إليها حيث تنتقل
طلت دماء هدايا مكة الحمل
حتى المنازل والأحداج والإبل¹⁹
قواعد الملك ممتدا لها الطول
لكان في وعده من رفته بدل
حتى ظننت قوافيه ستقتل
لراكناني إليه الرحل والجمل
خلف ولم تتبختر بينها العلل
إلا ترحل عنها العثر والزلل
بجوده أي قطريه حوى العطل
أن لم يكن برجه نور ولا حمل
لم يعرف المشتري فيه ولا زحل
من أن يذال بن أو ممن الرجل
وقد تفرعن في أوصاله الأجل
وقد تفرعن في أوصاله الأجل



قدح - العراق، القرن التاسع - المتحف الإسلامي، برلين.

منبع النار!

قدك اتئب، أربيت في الغلواء
لا تسقني ماء الملام فيأني
ومعرس للغيث تخفق بينه
نشرت حدائقه قصرن مألفا
فسقاه مسك الطل كافور الصبا
غني الربيع بروضه، فكأنما
صبحته بسلافة صبحتها
راح إذا ما الراح كن مطيها
عنيبة ذهبيّة سكبت لها
أكل الزمان لطول مكث بقائها
صعبت وراض المزج سيء خلقها
خرقاء يلعب بالعقول حبابها
وضعيقة فإذا أصابت فرصة
جهمية²⁴ الأوصاف إلا أنهم
وكان بهجتها وبهجة كأسها
أو ذرة بيضاء بكر أظيقت
ومسافة كمسافة الهجر ارتقى
بيد لنسل العيد في أملودها
مزقت ثوب عكوبها بركوبها

كم تعدلون وأنتم سجرائي²¹
صب قد استعذبت ماء بكائي
رايات كل دجنة وطفاء²²
لطرائف الأنواء والأنداء
وانحل فيه خيط كل سماء
أهدى إليه الوشي من صنعاء
بسلافة الخلطاء والندماء
كانت مطايا الشوق في الأحشاء
ذهب المعاني صاغة الشعراء
ما كان خامرها من الأقداء²³
فتعلمت من حسن خلق الماء
كتلعب الأفعال بالأسماء
قتلت، كذلك قدرة الضعفاء
قد لقبوها جواهر الأشياء
نار ونور قيّداً بوعاء
حبلاً على ياقوتة حمراء
في صدر باقي الحب والبرحاء
ما ارتيد من عيد ومن عدواء²⁵
والنار تنبع من حصي المعزاء²⁶



قدح - إيران، القرن العاشر - المتحف الإسلامي، برلين.

¹⁹ الأحداج: هودج النساء في الركب.

²⁰ العفاة: الضيوف، أو طلاب الفضل والرزق.

²¹ قدك اتئب: أي حسبك فقد غاليت، والسجاء الأصفياء والأخلاء.

²² الدجنة: ظلال الغيمة قبل المطر، والوظفاء: الغيمة المسترخية الطويلة

²³ الأقداء ما يقع في العين والماء والشراب من شوائب.

²⁴ الجهمية: إحدى الفرق الكلامية الإسلامية تنسب إلى جهم بن صفوان السمرقندي، تقول بالجبرية ونفي الصفات عن الخالق، وبأن الإيمان عقد في القلب وكانت أفكارهم ممهدة للفكر المعتزلي.

²⁵ الأملود: الناعم. والعدواء المكان غير المستوي.

²⁶ عكوبها، غبارها

السماء المحجبة

يا أيها الملك النَّائِي بِرؤْيَيْتِهِ
ليسَ الحِجَابُ بِمَقْضٍ عَنكَ لِي أَمَلًا
مَادُونَ بِابِكَ لِي بَابُ أَلُوذٍ بِهِ
وَجُودُهُ لِمُرْجِي جُودِهِ كَثْبُ
إِن السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ
وَلَا وَرَاءَكَ لِي مَثْوَى وَمَطْلَبُ

فكأنها وكأنهم أحلام

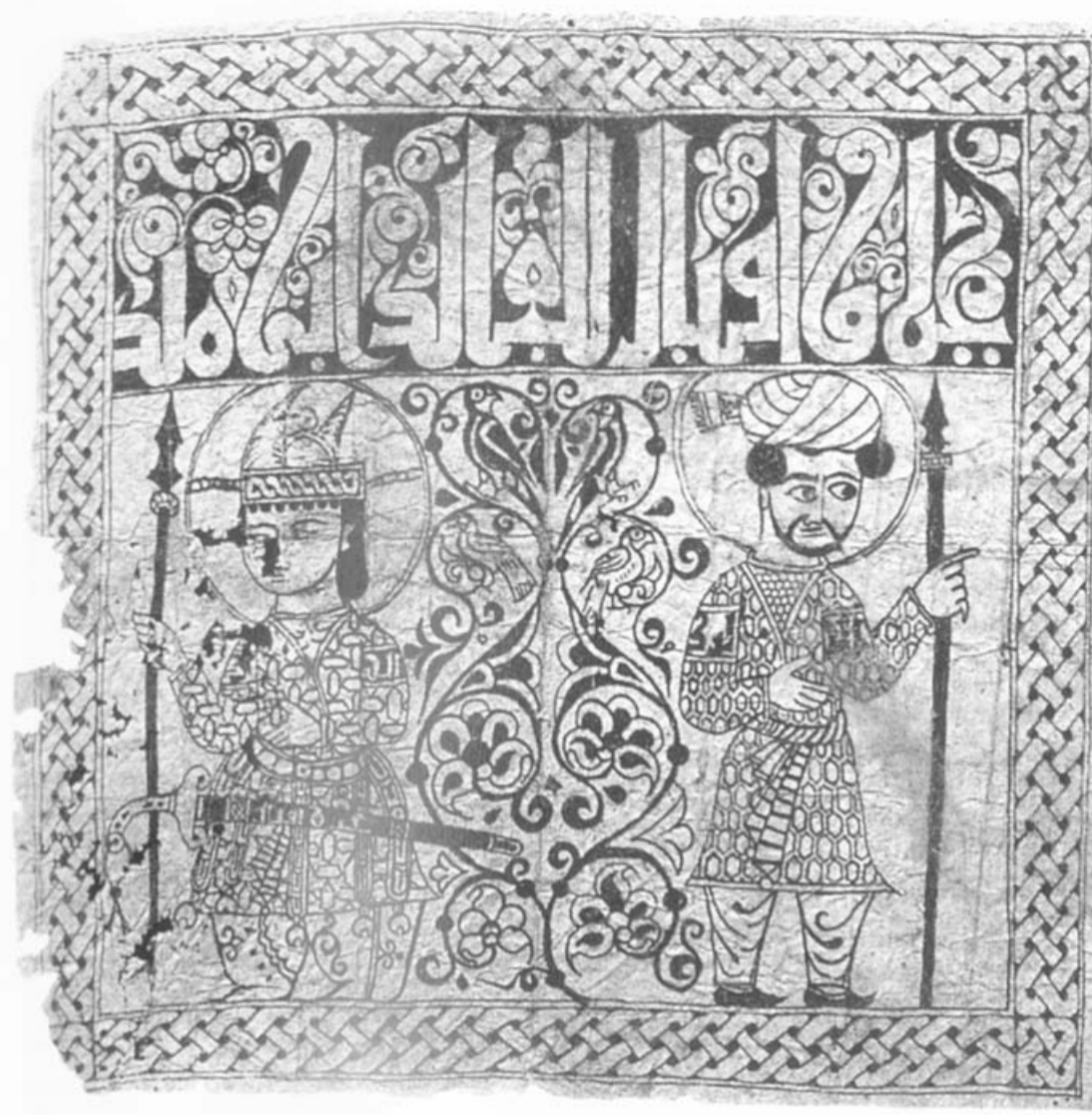
دَمِنُ أَلْمِ بِهَا فَقَالَ سَلَامٌ
نُحِرْتُ رِكَابُ الْقَوْمِ حَتَّى يَغْبِرُوا
عَشِقُوا، وَلَا رُزُقُوا، أَيْعَذَلُ عَاشِقٌ
وَقَفُوا عَلَيَّ اللَّوْمِ حَتَّى خَيْلُوا
مَا مَرَّ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِلَّا وَفِي
حَتَّى تَعَمَّمُ صَلُعُ هَامَاتِ الرِّبَا
وَلَقَدْ أَرَاكَ، فَهَلْ أَرَاكَ بِغَبِطَةِ
أَعْوَامٍ وَصَلَّ كَانَ يُنْسِي طَوْلَهَا
ثُمَّ انْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجَرَ أَرْدَقَتْ
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلَهَا
لَا تَنْشِجَنَّ لَهَا فَإِنَّ بَكَاءَهَا
هِنَّ الْحَمَامُ فَإِنَّ كَسْرَتَ عَيْفَةِ

صور البعاد

سَقَى عَهْدَ الْحَمَى سَبِيلَ الْعِهَادِ²⁸
نَزَحَتْ بِهِ رَكِييَ الْعَيْنِ لَمَّا
فِيَا حُسْنَ الرُّسُومِ وَمَا تَمَشَى
وَإِذْ طَيَّرَ الْخَوَادِثَ فِي رُبَاهَا
وَأَعْيَنَ رَبْرِبَ كَحَلَّتْ بِسِحْرِ
وَإِنْ يَكُ مِنْ بَنِي أَدَدِ جِنَاحِي
عَدَوْتُ بِهِمْ أَمَدٌ ذَوِي ظِلَالٍ
مَتَى تَحَلَّلْ بِهِ تَحَلَّلْ جَنَابًا
وَمَا اسْتَبَهَتْ طَرِيقُ الْمَجْدِ إِلَّا
فَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا
مَقِيمِ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي
مَعَادِ السَّبْعِ مَعْرُوفٍ وَلَكِنْ

ما لا يحتجب

أَطَاعَهَا الْحُسْنَ وَانْحَطَّ الشَّبَابُ عَلَى
لَمْ أَنْسَهَا وَصُرُوفَ الْبَيْنِ تَظْلِمُهَا
أَدْنَتْ نِقَابًا عَلَى الْخَدَّيْنِ وَانْتَسَبَتْ
وَلَوْ تَبَسَّمُ عَجْنَا الطَّرْفُ فِي بَرْدٍ
كَانَتْ لَنَا مَلْعَبًا نَلْهُو بِزُخْرَفِهِ
وَعَاذِلْ هَاجَ لِي بِاللُّوْمِ مَأْرِبَةً
لَمَّا أَطَالَ ارْتِمَالُ الْعَذَلِ قَلْتُ لَهُ:



متحاربون - مصر القسطنطينية، القرن الحادي عشر - المتحف الإسلامي، القاهرة.

²⁷ الأهمصام: الأراضي المنخفضة.

²⁸ سبيل العهاد: مطر الربيع في أوله.

²⁹ الربرب: قطيع البقر الوحشي، والجساد: الزعفران.



عملة عباسية بخط كوفي - المتحف الوطني، سنوكهولم.

من يخبرني عني؟

أفيكم فتى حي فيخبرني عني
عَدْتُ وهي أولى من فؤادي بعزمتي
لقد تركتني كأسها وحققتني
هي اختدعتني والغمام ولم أكن
إذا اشتعلت في الطاس والكاس نارها
قرين الصبا في وجنتيه ملاحه
طإذا نَحْنُ أومأنا إليه أدارها
تقلب روح المرء في كل وجهة
ومسمعنا طفل الأنامل عنده
لنا وتر منه إذا ما استحثه
وفي روضة نبتية صبغت لها
ظليلنا بها في جنة غاب نحسها

بما شربت مشروبة الراح من ذهني
ورحت بما في الدن أولى من الدن
محال وحق من فعالي كالظن
بأول من أهدى التغافل للدجن
صليت بها من راحتي ناعم لدن
صليت بها من راحتي ناعم لدن
سلافا كماء الجفن³⁰ وهي من الجفن
وتدخل منه حيث شاءت بلا إذن
لنا كل نوع من قرى العين والأذن
فصيح ولحن في أمان من اللحن
جداولها أنوارها صبغة الدهن
تذكرنا جناتها جنة العدن

ما يكتبه الليل بغير لونه

أرى ألفت قد كتبت على راسي
فإن تسأليني من يخط كتابها

بأقلام شيب في صحائف أنفاسي³¹
فكف الليالي تستمد بأنفاسي

أمطار القلم

لك القلم الأعلى الذي بشباته³²
له الخلوات اللآء لولا نجيتها
لعب الأفاعي القاتلات لعبه
له ريقه طل ولكن وقعها
فصيح إذا استنطقته وهو ركب
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت
أطاعته أطراف القنا وتقوضت
إذا استغزر الدهن الذكي وأقبلت
وقد رفدته الخنصران وشددت
رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف

تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
لما احتفلت للملك تلك المحافل
وأري الجنى اشتارته أيد عواسل³³
بأثاره في الشرق والغرب وأبل
وأعجم إن خاطبته وهو راجل
عليه شعاب الفكر وهي حوافل
لنجواه تقويض الخيام الجحافل
أعالیه في القرطاس وهي أسافل
ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل
ضنى وسميناً خطبه وهو ناحل

قبرائنا..!

سيفة اللحظات يغدو طرفها
زالت بعينيك الحمول كأنها
يوم الثلاثا لن أزال لبينهم
والكامخية لم تكن لي منزلاً
لم أتها من أي وجه جئتها
تصدا بها الأفهام بعد صقالها
أرض خلعت اللهو خلعي خاتمي

بالسحر في عقد النهي نفاثا
نخل مواقر من نخيل جوانا³⁴
كدر الفؤاد لكل يوم ثلاثا
فمقابر اللذات من قبرائنا³⁵
إلا حسبت بيوتها أجدائنا³⁶
وترد ذكران العقول إنائنا
فيها وطلقت السرور ثلاثا

³⁰ الجفن: الكرم "العنب" والعرب تسمى الخمر: ماء الجفن، والسحاب جفن الماء.

³¹ أنفاس: جمع نفس وهو المداد الذي يكتب به.

³² شباته: طرفه أو حده

³³ الأري: العسل، واشتارته أي جنته

³⁴ مواقر: ذات حمل كثير، وجوانا: قرية في البحرين تشتهر بالنخيل

³⁵ الكامخية موضع بالشام وقبرائنا: قرى من نواحي الموصل

³⁶ الأجدات: القبور

37 القشيب: الجديد، والدريس: الدارس والباي، والرئيس، الثابت من الأثر وبقيته.

38 طسم وجديس: من قبائل العرب البائدة، تحف بتاريخهما الأساطير.

39 الرود: هنا المرأة الجميلة التي تكثر الإتياد إلى البيوت المجاورة، والخرد، البكر التي تميل إلى السكوت والحياء.

40 الشوس، جمع أشوس، وهو من ينظر بمؤخرة العين ويرفع رأسه غضباً، والبله، الغفلة عن الشر، وعدم الاهتمام له: جاء في الحديث "أكثر أهل الجنة البله" أي لعدم اهتمامهم بالدنيا.

41 اكتن: اختزن، والكنف الرعاية، وكنف الطائر: جانحيه.

كتاب «الصور» للصوفي، كوكبة برشاويش على ما يرى الكرة - متحف طوب كابو، استنبول.



جيران طسم

أَقْشَيْبَ رَبِّعِهِمْ أَرَاكَ دَرَيْسَا
وَلَيْتَ حَبَسْتَ عَلَى الْبَلِي لَقَدْ اغْتَدَى
فَكَأَنَّ طَسْمًا قَبْلُ كَانُوا جِيرَةَ
وَأَرَى رُبُوعَكَ مُوَحِّشَاتٍ بَعْدَهَا
أَتَّرَى الْفِرَاقَ يَظُنُّ أَنِّي غَافِلٌ
رَوْدٌ أَصَابَتْهَا النَّوَى فِي خُرْدٍ
بِيضٌ تَدُورُ عِيُونُهُنَّ إِلَى الصَّبَا

شاعر وقف الكلام ببابه.

هممُ الفتى في الأرض أغصان الغنى
أخرست إذ عاينتني حتى إذا
وكذا اللثيم يقول إن نأت النوى
قوم تراهم حين يطرُق معشر
قوم إذا اسود الزمان توضحوا
ما أنشئت للمكرمات سحابة
طأنظر فحيث ترى السيوف لوامعاً
شوس إذا خفقت عقاب لوائهم
بله إذا لبسوا الحديد حسبتهم
أفعلت حتى عبتهم قل لي متى
جدعاً لأنف طيء إن فتتها
إني أراك حلمت أنك سالم
إياك يعني القائلون بقولهم
سر أين شئت من البلاد فإن لي
وقصائد تسري إليك كأنها
طمن منهضاتك مقعداتك خائفاً
من شاعر وقف الكلام ببابه
قد ثقفت منه الشام وسهلت

ماء الوجه .

أنسى ابتسامك والألوان كاسفة
كذا أحوك الندى لو أنه بشرٌ
رَدَدَتْ رَوْنَقَ وَجْهِي فِي صَحِيفَتِهِ
وما أبالي وخير القولِ أصدقهُ
تَبَسَّمَ الصُّبْحُ فِي دَاغٍ مِنَ الظُّلَمِ
لَمْ يُلَفْ طَرْفَةَ عَيْنٍ غَيْرَ مَبْتَسِمٍ
رَدَّ الصَّقَالِ بِمَاءِ الصَّارِمِ الخِذَمِ
حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِي أَوْ حَقَنْتَ دَمِي

حاشية الطبيعة .

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر
نزلت مقدمة المصيف حميدة
لولا الذي غرس الشتاء بكفه
مطر يذوب الصحو منه وبعده
غيثان فالأنواء غيث ظاهر
وندى إذا ادهمت به ليم الثرى
أربيعنا في تسع عشرة حجة
ما كانت الأيام تسلب بهجة
أولا ترى الأشياء إن هي غيرت
يا صاحبي تقصيا نظريكما
تريا نهرا مشمساً قد شابه
دنيا معاش للورى حتى إذا
أضحت تصوغ بطونها لظهورها
من كل زاهرة تفرق بالندى
تبدو ويحجبها الجميم⁴² كأنها
حتى غدت وهدأتها ونجادها
مصفرة محمرة فكانها
من فاقع غصن النبات كأنه
أوساطع في حمرة فكان ما
صنع الذي لولا بدائع صنعه



« مختار الحكم ومحاسن الكلم » - متحف طوب كابو، استنبول.

محرقة الخرافة!

أين الرواية؟ بل أين النجوم وما
لو بينت قط أمراً قبل موقعه
من عهد إسكندر أو قبل ذلك قد
حتى إذا مخض الله السنين لها
أنتهم الكربة السوداء سادرة
جری لها الفأل برحاً يوم أنقرة
لما رأته أختها بالأمس قد خربت
ضوء من النار والظلماء عاكفة
فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت
تصرح الدهر تصریح الغمام لها
لم تطلع الشمس فيه يوم ذلك على
يارب حوباء⁴³ لما اجتت دابره
ومغضب رجعت بيض السيوف به
والحرب قائمة في مازق لجج
كم نيل تحت سناها من سنا قمر
كم كان في قطع أسباب الرقاب بها
كم أحرزت قضب الهندي مصلته
بيض، إذا انتضيت من حجبها، رجعت

صاغوه من زخرف فيها ومن كذب؟
لم تخف ما حل بالأوثان والصلب
شابت نواصي الليالي وهي لم تشب
مخض البخيلة كانت زبدة الحقب
منها وكان اسمها فراجة الكرب
إذ غودرت وحشة الساحات والرحب
كان الخراب لها أعدى من الحرب
وظلمة من دخان في ضحى شحب
والشمس واجبة من ذا ولم تجب
عن يوم هيجاء منها طاهر جنب
بان بأهل ولم تغرب على عزب
طابت ولو صمخت بالمسك لم تطب
حي الرضا من رداهم ميت الغضب
تجثو القيام به صغراً على الركب
وتحت عارضها من عارض شنب⁴⁴
إلى المخدرة العذراء من سبب
تهتز من قضب تهتز في كضب
أحق بالبيض أتراباً من الحجب

⁴² لهتك : كلمة للتوكيد بمعنى لإتاك.

⁴³ الجميم: نبات المرعى قبل أن يصبح حشيشاً

⁴⁴ الوهد: ما انحدر من الأرض «الوديان» والنجاد ما ارتفع منها

«الكثبان»

⁴⁵ الحوباء: النفس والروح

⁴⁶ الشنب: حدة الأسنان



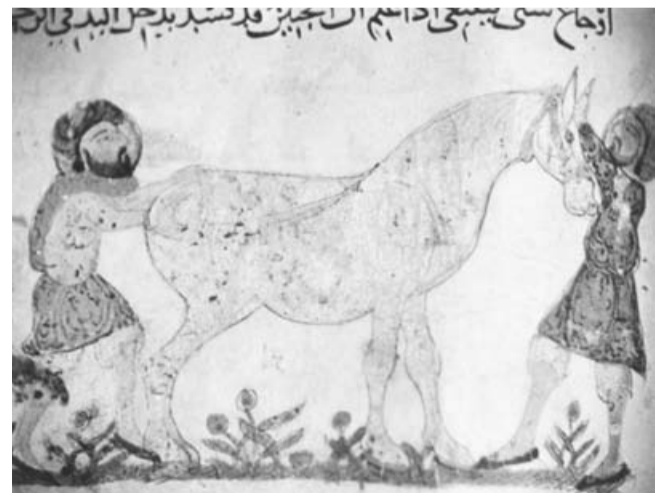
فرس معتلة يتولى حارسها علاجها.



فرس يروض جواده.



حارسان يتعاونان لمساعدة فرس على ولادة عسيرة.



كتاب «الببيرة» - 1209 م - دار الكتب المصرية.

بلاغة الطبيعة

الغيمُ من بين مغبوق ومصطبَح
من ريق مكثفات بالثرى دُلح⁴⁷
دُهم إذا ضحكك في روضة طفت
عيون نُوارها تبكي من الفرح

حفلة الأحلام

استزارته فكرتني في المنام
الليالي أحفى بقلبي إذا ما
يالها لذة تنزهت الأر
مجلس لم يكن لنا فيه عيب
فأتاني في خفية واكتتام
جرحته النوى من الأيام
واح فيها سراً من الأجسام
غير أنا في دعوة الأحلام

رجل الأيام السود..

كفني وغاك فإني لك قالي
أنا من عرفت فإن عرتك جهالة
عادت له أيامه مسودة
ليست هوادي عزمتي بتوالي
فأنا المقيم قيامة العذال
حتى توهم أنهم ليال

ذو الشعر الخلاسي.

أبدت أسي أن رأنتي مخلص القصب
ست وعشرون تدعوني فأتبعها
يومي من الدهر مثل الدهر تجربة
فأصغري أن شيباً لاح بي حدثاً
ولا يؤرقك إمام القشير⁴⁹ به
رأت تشننه فاهتاج هائجها
لا تنكري منه تخديداً تجلله
لا يطرد الهمة إلا الهمة من رجل
ماض إذا الكرب التففت رأيت له
بلوت منك وأيامي مذممة
من غير ما سبب ماض كفى سببا
وأل ما كان من عجب إلى عجب
إلى المشيب ولم تظلم ولم تحب⁴⁸
عزماً وحزماً وساعي منه كالحقب
وأكبري أنني في المهدي لم أشب
فإن ذلك إبتسام الرأي والأدب
وقال لا عجبها للعبرة إنسكبي
فالسيف لا يزدري إن كان ذا شطب
مقلقل لبنات القفرة النعب⁵⁰
بوخدهن استطلالات على النوب
مودة وجدت أحلى من النشب
للحر أن يعتفي حراً بلا سبب

النوم مشرد، فاغترب تجدد

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد
وأنقذها من غمرة الموت، أنه
فأجرى لها الإشفاق دمعا مورداً
هي البدر يغنيها تودد وجهها
ولكنني لم أحو وفرأ مجمعاً
ولم تعطني الأيام يوماً مسكناً
وطول مقام المرء في الحي مخلق
فإني رأيت الشمس زيدت محبة
وعاد قتاداً⁵¹ عندها كل مرقد
صدود فراق لا صدود تعمد
من الدم يجري فوق حد مورداً
إلى كل من لاقت وإن لم تودد
ففرزت به إلا بشمل مبدد
ألد به إلا بنوم مشرد
لديباجتيه فاغترب تتجدد
إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

الكوفة - دمشق...

نيطت قلائد عزمه بمحير
حتى لقد ظن الغواة وباطل
متكوف متدمشق متبغدد
أن قد تجسم في روح السيد⁵²

فضل الحاسد على المحسود

وإذا أراد الله نشر فضيلة
لولا اشتعال النار، فيما جاورت
لولا التخوف للعواقب لم تزل
طويت أتاح لها لسان حسود
ما كان يعرف طيب عرف العود
للحاسد النعمى على المحسود

47 مكثفات: متغطيات، والدلح: التناقل في المشي

48 لم تحب: لم تأثم، والحبوب الإثم.

49 القشير: الشيب في أول ظهوره.

50 بنات القفر: الوحوش وكل ما يسكن القفار، لكن لفظة النعب (تمد أعناقها أثناء السير) تحيل إلى الإبل خاصة، والمقصود إن هم الرجل، يزول بالهمة في إقلاق الإبل بالسير الدائم والترحال.

51 القتاد: شجر صحراوي له شوك.

52 المقصود بالسيد هنا: السيد الحميري الشاعر العباسي المعروف.



« مقامات الربري » 1222م رقم 3929 ، صورة الفرسان في طريقهم إلى دار أفرح - دار الكتب القومية الفرنسية.

يحن إلى موته

السيوم أدرج زيد الخيل في كفنٍ وانحل معقود دمع الأعين الهتن⁵³
فالماء ليس عجيباً أن أعذبه يفنى ويمتد عمر الأجن الأسن
رؤى على طيىء ألقى كلاكه لا بل على أدد لا بل على اليمن
إلا تكن صدرت عن منظر حسن حرب، فقد صدرت عن مسمع حسن
نعم الفتى غير نكس في الجلال ولا لدن الفؤاد لدى وقع القنا اللدن
حن إلى الموت حتى ظن جاهله بأنه حن مشتاقاً إلى وطن
ولى الحماة وأضحى عند سورته مع الحمية كالمشودود في قرن
رأى المنايا حبالات النفوس فلم يسكن سوى الميتة العليا إلى سكن
لو لم يمت بين أطراف الرماح إذا لمات إذ لم يمت من شدة الحزن

⁵³ الهتن: مقتابع الدمع

إِلَى سَمَاطٍ زَبْنَتُهُ طَهْمَانُهُ وَتَنَاصَفَتْ فِي الْحُسْرِ جِهَانُهُ
 فَيَزِنُ رَيْعَ كُلِّ شَخْمٍ فِي رُبُضَتِهِ وَطِفْءَ بَرِّ رَيْعٍ فِي رُوضَتِهِ
 انْسَلَّتْ مِنَ الصَّفِّ وَفَرَّتْ مِنَ الزَّجْفِ ه



«مقامات الحريري» 1222م رقم 3929 ، صورة السماط والناس من حوله في دار أفراح الشاذين - دار الكتب القومية الفرنسية.

الحجرة المقفلة

مالي أرى الحجرة الفيحاء مقفلة عني وقد طالما استفتحت مقفلها؟
 كأنها جنّة الفردوس معرضة وليس لي عمل زالك فأدخلها

صواحب يوسف

أَهْنُ عَوَادِي يَوْسُفَ وَصَوَاحِبُهُ فَعَزَمًا فَقَدِمَا أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهُ
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْتَخْلِصِ الْخِزْمَ نَفْسَهُ فَذَرَوْتَهُ لِحَادِثَاتِ وَغَارِبُهُ
 أَعَادَلْتِي مَا أَخَشَنَ اللَّيْلَ مَرْكَبًا وَأَخَشَنُ مِنْهُ فِي الْمَلَمَّاتِ رَاكِبُهُ
 ذَرِينِي وَأَهْوَالِ الزَّمَانِ أَفَانِهَا فَأَهْوَالُهُ الْعُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ
 أَلَمْ تَعَلِّمِي أَنَّ الزَّمَاعَ عَلَى السُّرَى أَخُو النُّجُجِ عِنْدَ النَّائِبَاتِ وَصَاحِبُهُ
 دَعِينِي عَلَى أَخْلَاقِي الصُّمِّ لِلَّتِي هِيَ الْوَفْرُ أَوْ سِرْبُ تُرْنِ نَوَادِبُهُ
 فَإِنَّ الْحُسَامَ الْهِنْدَوَانِيَّ إِنَّمَا خُشُونَتُهُ مَا لَمْ تَفْلُلْ مُضَارِبُهُ
 وَقَلْقَلْ نَأْيَ مَنْ خِرَاسَانَ جَاشَهَا فَقَلْتُ اطْمِئْنِي أَنْضِرِ الرُّوْضَ عَازِبُهُ
 وَرَكِبْ كَأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ دَاجُ غِيَاهِبُهُ
 لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ
 عَلَى كُلِّ رَوَادِ الْمَلَاطِ تَهْدَمَتْ عَرِيكَتُهُ الْعَلِيَاءُ وَانضَمَّ حَالِبُهُ⁵⁴
 رَعْتُهُ الْفِيَا فِي بَعْدَ مَا كَانَ حَقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الرُّوْضِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ
 فَأَصْحَى الْفَلَا قَدْ جَدَّ فِي بَرِي نَحْضِهِ⁵⁵ وَكَانَ زَمَانًا قَبْلَ ذَلِكَ يُلَاعِبُهُ
 فَكَمْ جِذَعٍ وَادٍ جَبَّ ذُرُوءَ غَارِبٍ وَبِالْأَمْسِ كَانَتْ أَتَمَّتْهُ ٦٥ مَدَانِبُهُ
 إِلَيْكَ جَزَعْنَا مَغْرِبَ الشَّمْسِ كُلَّمَا هَبَطْنَا مَلَأَ صَلَّتْ عَلَيْكَ سَبَاسِبُهُ⁵⁷
 فَلَوْ أَنَّ سَيْرًا رَمْتَهُ فَاسْتَطَعْتَهُ لَصَاحِبِنَا سَوْقًا إِلَيْكَ مَغَارِبُهُ

⁵⁴ الملاط: الجمل، والعريكة السنام.. المقصود كثرة الأسفار.

⁵⁵ النحض: اللحم المكتنز

⁵⁶ أتمكته: رفعته وأعلته، وسنام تامك سنام عال

⁵⁷ الملا: الفلاة، والسباسب المغازات

حفر على منبر جامع سمرقند - المكتبة الوطنية، فيينا.



شَهِدْتُ لِقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمْ بَعْدِي وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعٌ مِنْ بُرْدِ
وَأَنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكُمْ فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ

مسافر للنجوم!

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتُ فَجَّعْتَنَا بِمَاءِ الْحَيَاةِ وَمَاءِ الْحَيَاءِ
فَمَاذَا حَضَرْتَ بِهِ حَاضِرًا وَمَاذَا خَبَّاتَ لِأَهْلِ الْخَبَاءِ
نَعَاءِ نَعَاءِ شَقِيقِ النَّدَى إِلَيْهِ نَعِيًّا قَلِيلَ الْجَدَاءِ⁵⁸
وَكَانَا جَمِيعًا شَرِيكِي عِنَانِ رَضِيعِي لِبَانِ خَلِيلِي صَفَاءِ
فَبَاطِنُهُ مَلْجَأٌ لِلْأَسَى وَظَاهِرُهُ مَيْسَمٌ لِلْوَفَاءِ
وَقَدْ كَانَ مِمَّا يُضِيءُ السَّرِيدَ رَوَالِبُهُو يَمْلَأُهُ بِالْبَهَاءِ
أَلْحَدُ حَوَى حَيَّةَ الْمُلْحِدِينَ وَلَدُنْ ثَرَى حَالِ دُونَ الثَّرَاءِ
فَمَا زَالَ يَفْرَعُ تِلْكَ الْعُلَى مَعَ النَّجْمِ مُرْتَدِيًّا بِالْعَمَاءِ
وَيَصْعَدُ حَتَّى لَظَنَ الْجَهْلُ أَنْ لَهُ مَنَزِلًا فِي السَّمَاءِ

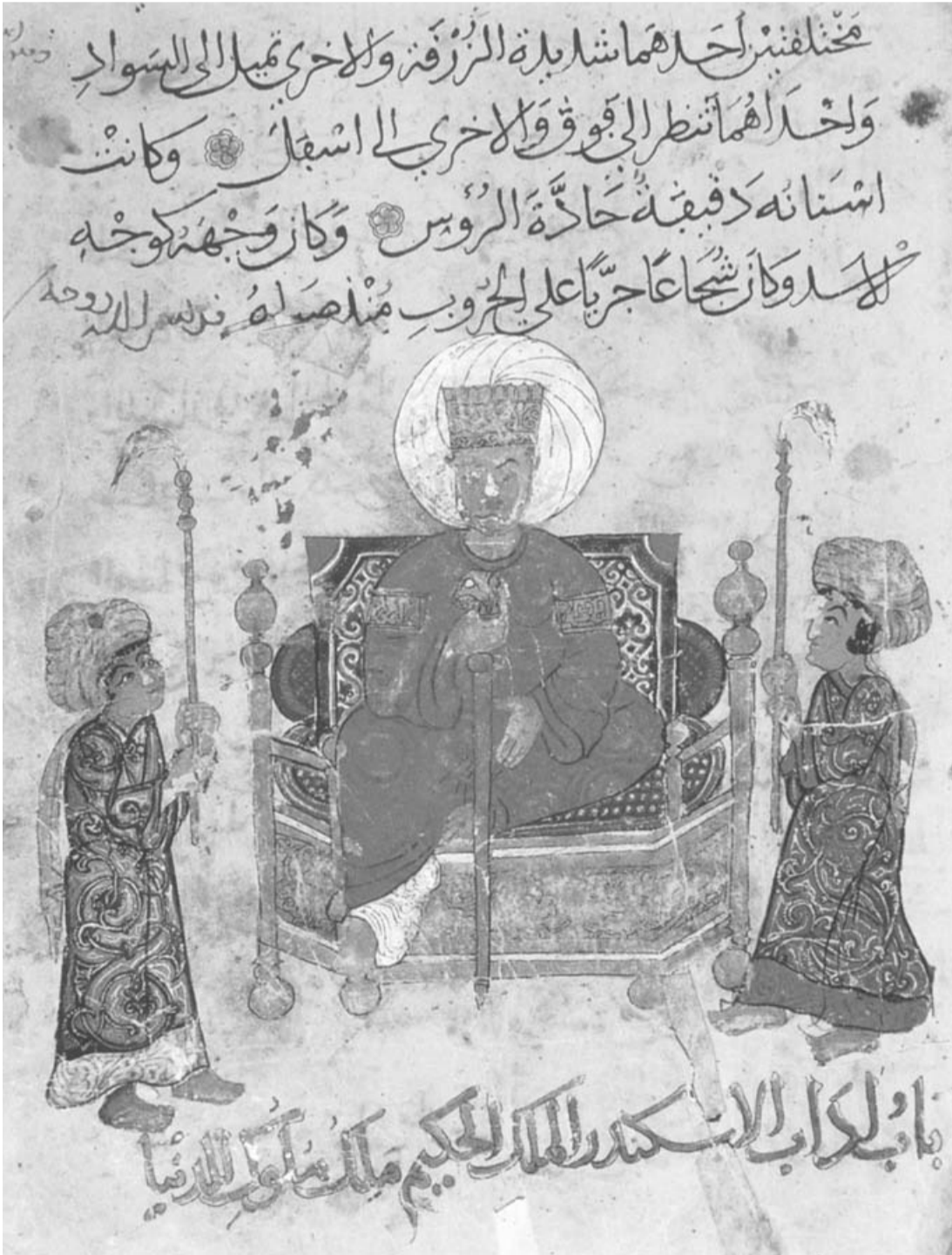
منمنمة إيرانية 1565 - 1566، تمثل قصة يوسف وزليخة - واشنطن، قاعة Freer للفنون.



⁵⁸ الجداء: النفع والعتاء ومنه الجدوى.

59 الأفشين: هو حيدر بن كاوس، أحد القادة الأتراك المشهورين في عهد المعتصم العباسي، قتله الأخير وصلبه بتهمة التمرد.

الخليفة السلجوقي على عرشه عن مخطوطة تعود للقرن الثالث عشر.

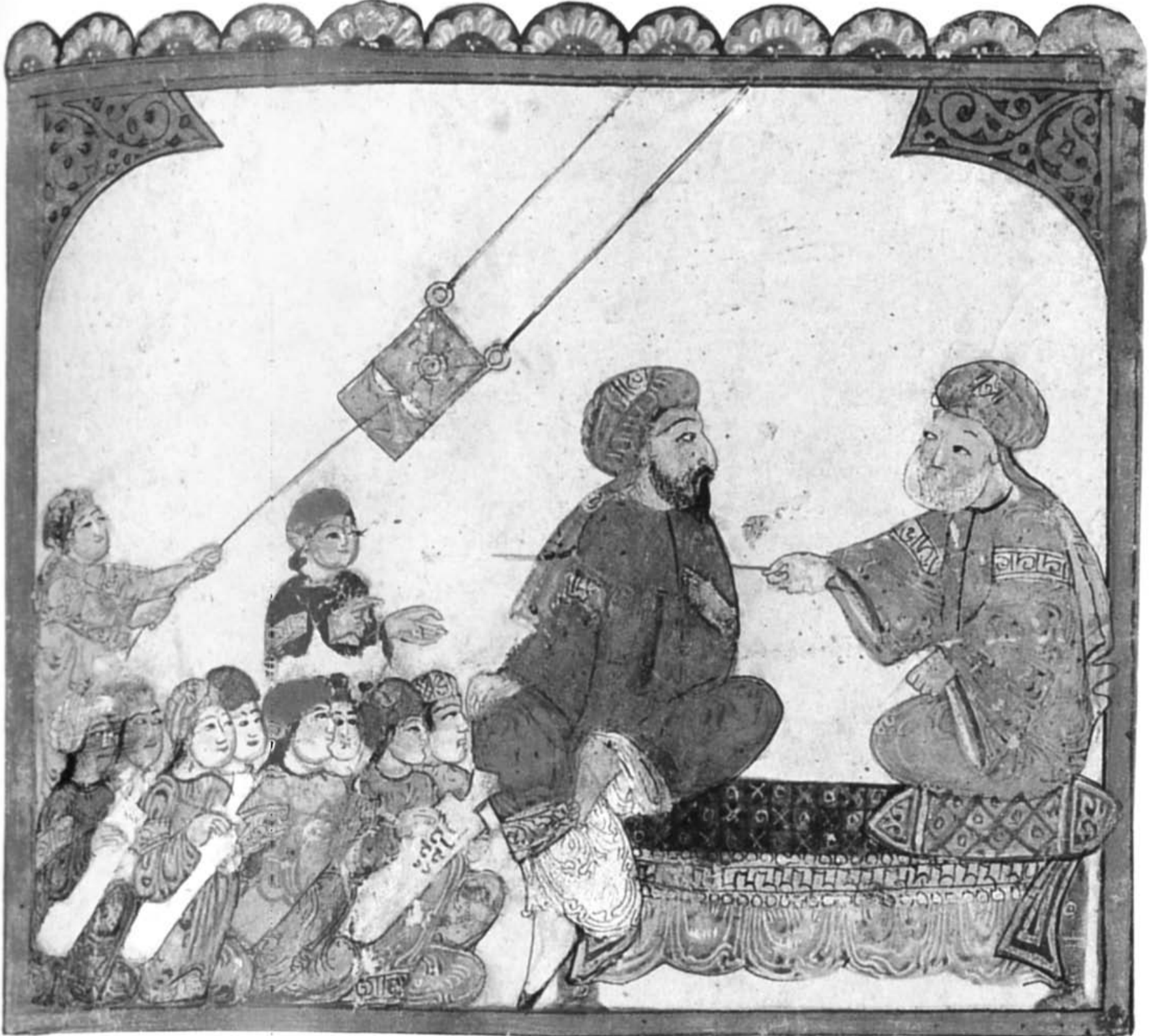


هجاء

أبوسُفُ جئتُ بالعَجَبِ العَجِيبِ
سَمِعْتُ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ نَادٍ
أما لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا
وَمَا لَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ
تَرَكَتِ النَّاسَ فِي شَكِّ مُرِيبِ
وَلَمْ أَسْمَعْ بِسَرَاجِ أَدِيبِ
إِذْ لَنْفَذْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبِ مِنَ الْغَرِيبِ

لم نسجد!

سَلَّمَ عَلَيَّ الرَّبِّعِ مِنْ سَلَمِي بِذِي سَلَمٍ
مَا دَامَ عَيْشُ لِبَسْنَاهُ بِسَاكِنِهِ
يَا مَنْزِلًا أَعْنَقَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ عَلَيَّ
كَانَتْ لَنَا صَنَمًا نَحْنُو عَلَيْهِ وَلَمْ
زَارَ الْخِيَالَ لَهَا لَا بَلَّ أَزَارِكُهُ
ظَبِي تَقَنُّصْتُهُ لَمَّا نَصَبْتَ لَهُ
ثُمَّ اغْتَدَى وَبِنَا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمُ
عَلَيْهِ وَسَمُّ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْقَدَمِ
لَدْنَا وَلَوْ أَنَّ عَيْشًا دَامَ لَمْ يَدُمِ
رَسْمٌ مُحِيلٌ وَشُعْبٌ غَيْرُ مُلْتَمِمْ
نَسْجُدُ كَمَا سَجَدَ الْأَفْشِينُ⁵⁹ لِلصَّنَمِ
فَكَرُّ إِذَا نَامَ فِكْرُ الْخَلْقِ لَمْ يَنْمِ
فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكًا مِنَ الْحَلَمِ
بَاقٍ وَإِنْ كَانَ مَشْغُولًا عَنِ السَّقَمِ



غزو بغداد من قبل المغول عن مخطوطة أخبار رشيد الدين بداية القرن الرابع عشر - متحف برلين.



الحرقة القديمة

وَمَا خَلَفَ أَجْفَانِي شُؤْنٌ بِخَيْلَةٍ وَلَا بَيْنَ أَضْلَاعِي لَهَا حَجْرٌ صَلْدٌ
وَمَا أَحَدٌ طَارَ الْفِرَاقُ بِقَلْبِهِ بِجِلْدٍ وَلَكِنَّ الْفِرَاقَ هُوَ الْجِلْدُ
وَمَنْ كَانَ ذَا بَثٍّ عَلَى النَّأْيِ طَارِفٍ فَلِي أَيْدٍ مِنْ صَرْفِهِ حُرْقٌ تَلْدُ

شواهد الوجوه

كَتَبْتَ أَوْجُهُهُمْ مَشَقًّا وَنَمْنَمَةً ضَرْبًا وَطَعْنًا يَقَاتُ الْهَامَ وَالصُّلْفَا
كِتَابَةً لَا تَنْسِي مَقْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَّطَتْ بِهَا لَامًا وَلَا أَلْفَا
فَإِنْ أَلْظَمُوا⁶⁰ بِإِنْكَارٍ فَقَدْ تَرَكْتَ وَجُوهُهُمْ بِالَّذِي أَوْلَيْتَهَا صُحْفَا

فراق على فراق..

يَوْمَ الْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلًا لَمْ تُبْقِ لِي جِلْدًا وَلَا مَعْقُولًا
لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلًا
قَالُوا الرَّحِيلُ فَمَا شَكَّكَتُ بِأَنَّهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلًا
الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنْ تَلْدُذًا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلًا
طَأْتُظَنِّي أَجِدُ السَّبِيلَ إِلَى الْعِزَا وَجَدَ الْحَمَامُ إِذْنًا إِلَى سَبِيلَا
رَدُّ الْجَمُوحِ الصَّعْبِ أَيْسَرُ مَطْلَبًا مِمَّنْ رَدَّ دَمْعٌ قَدْ أَصَابَ مَسِيلَا
ذَكَرْتَكُمْ الْأَنْوَاءَ ذَكَرِي بَعْضَكُمْ فَبَكَتْ عَلَيْكُمْ بُكْرَةً وَأَصِيلَا
وَبِنَفْسِي الْقَمَرُ الَّذِي بِمُحَجَّرٍ أَمْسَى مَصُونًا لِلنَّوَى مَبْدُولًا
إِنِّي تَأَمَّلْتُ النَّوَى فَوَجَدْتُهَا سَيْفًا عَلَيَّ مَعَ الْهَوَى مَسْلُولًا
لَا تَأْخُذِينِي بِالزَّمَانِ فَلَيْسَ لِي تَبَعًا وَلَسْتُ عَلَى الزَّمَانِ كَفِيلًا

عراء الفصول!

لَمْ يَبْقِ لِلصَّيْفِ لَا رَسْمٌ وَلَا طَلَلٌ وَلَا قَشِيبٌ فَيُسْتَكْسَى وَلَا سَمَلٌ
عَدَلٌ مِنَ الدَّمْعِ أَنْ يُبْكِيَ الْمَصِيفُ كَمَا يُبْكِي الشَّبَابُ وَيُبْكِي اللَّهُو وَالْغَزَلُ
يُمْنَى الزَّمَانِ طَوَتْ مَعْرِوْفَهَا وَغَدَّتْ يُسْرَاهُ وَهِيَ لَنَا مِنْ بَعْدِهَا بَدَلٌ
مَا لِلشِّتَاءِ وَمَا لِلصَّيْفِ مِنْ مَثَلٍ يَرْضَى بِهِ السَّمْعُ إِلَّا الْجُودُ وَالْبَيْخَلُ
أَمَا تَرَى الْأَرْضَ غَضِبِي وَالْحَصَى قَلِقٌ وَالْأَفْقَ بِالْحَرْجَفِ النُّكْبَاءِ يَقْتَتِلُ⁶¹
مَنْ يَزْعُمُ الصَّيْفَ لَمْ تَذْهَبْ بِشَاشَتُهُ فَغَيْرُ ذَلِكَ أَمْسَى يَزْعُمُ الْجَبَلُ
إِذَا تَطَلَّمَتْ مِنْ أَرْضٍ فُصِلَتْ بِهَا كَانَتْ هِيَ الْعِزُّ إِلَّا أَنَّهَا ذُلُّ

⁶⁰ الإلظاظ: لزوم الشيء

⁶¹ الحرجف: الرياح الباردة، والنكباء منها: التي تستدير وتبدل جهات هبوبها.



لو يمشى المكان!

دِيمَةُ سَمَحَةِ الْقِيَادِ سَكُوبُ
لَوْ سَعَتْ بُقْعَةً لِإِعْظَامِ أُخْرَى

عناق الأشلاء

فَمَنْ رَأَى مِنَ الْأَقْوَامِ كُلِّهِمْ
جَانِي نَخِيلٍ سِوَاهُ كَانَ أَلْفَهَا
ذُو الْوُدِّ مِنِّي وَذُو الْقُرْبَى بِمَنْزِلَةٍ
لَا تُخْلِقُنْ خُلُقِي فِيهِمْ وَقَدْ سَطَعَتْ
فِي دَهْرِي الْأَوَّلِ الْمَدْمُومِ أَعْرَفُهُمْ
عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ أَدَابَهُمْ أَدْبِي
أُرُوْحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ

أقارب الموت!

قَالُوا الرَّحِيلُ غَدًا لَا شَكَّ قُلْتُ لَهُمْ
كَأَنَّمَا الْبَيْنُ مِنْ إِيَّاهِمْ أَبَدًا

أرضي وسمائي ..

مَا سَرَّنِي بِخِدَاجِهَا مِنْ حُجَّةٍ
أَجْرٌ وَلَكِنْ قَدْ نَظَرْتُ فَلَمْ أَجِدْ
لَوْ سِرْتُ لَأَلْتَقَى الضُّلُوعُ عَلَيَّ أَسَى
وَلَجَفَ نَوَارُ الْكَلَامِ وَقَلَّمَا
فَأَجُوْ جَوِي إِنْ أَقَمْتُ بِغَيْبَتِهِ

حبس الهجران

بِنَفْسِي حَبِيبٌ سَوْفَ يُثَكِّلُنِي نَفْسِي
جَعَدْتُ الْهَوَى إِنْ كُنْتُ مَدَّ جَعَلَ الْهَوَى
لَقَدْ ضَاقَتْ الدُّنْيَا عَلَيَّ بِأَسْرَهَا
أَسْكَنْ قَلْبًا هَائِمًا فِيهِ مَاتَمُ
وَإِنِّي لِأَخْشَى إِنْ تَرَاقَتْ أُمُورُهُ

مرثية لبغداد

لَقَدْ أَقَامَ عَلَيَّ بَغْدَادُ نَاعِيَهَا
كَانَتْ عَلَيَّ مَا بَهَا وَالْحَرْبُ مَوْقِدَةٌ
تُرْجَى لَهَا عَوْدَةٌ فِي الدَّهْرِ صَالِحَةٌ
مِثْلَ الْعَجُوزِ الَّتِي وُلَّتْ شَبِيبَتُهَا
لَزَتْ بِهَا ضِرَّةُ زَهْرَاءُ وَاضِحَةٌ

تبه الصور!

نَشَرْتُ فِيكَ رَسِيْسًا كُنْتُ أَطُوبِهِ
إِنْ كَانَ وَجْهَكَ لِي تَتَرَى مَحَاسِنُهُ
مُرْتَجَّةٌ فِي تَهَادِيهِ أَسَافِلُهُ
تَاهَتْ عَلَى صُورَةِ الْأَشْيَاءِ صُورَتُهُ

المصلوبون ..

مسافرون على أفراس من خشب!

رَمَقُوا أَعَالِي جِذَعِهِ فَكَأَنَّمَا
سُودَ الثِّيَابِ كَأَنَّمَا نَسَجَتْ لَهُمْ
بَكَرُوا وَأَسْرُوا فِي مُتُونِ ضَوَامِرٍ
لَا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهْمُ

شاعر.

غَرَبْتُ خَلَائِقَهُ وَأَغْرَبَ شَاعِرٌ
فِيهِ فَأَحْسَنَ مُغْرِبٌ فِي مُغْرِبِ

مكافأة الجهالة!

يَنَالُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَا
جَزَى اللَّهُ كَفَاءً مِلْؤُهَا مِنْ سَعَادَةٍ
فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِدٍ

ما لا يؤتمن.

أَلَمْ تَرْنِي خَلَّيْتُ نَفْسِي وَشَانَهَا
لَقَدْ خَوَّفَتْنِي النَّائِبَاتُ صُرُوفَهَا
وَكَيفَ عَلَى نَارِ اللَّيَالِي مُعْرَسِي

الأرض الباردة.

أَرْضٌ مُصَرَّدَةٌ وَأُخْرَى تُثَجِّمُ⁶²
فَإِذَا تَأَمَّلْتَ السِّيلَادَ رَأَيْتَهَا

تجارب.

إِذَا جَارَيْتَ فِي خُلُقٍ دَنِيئًا
لَقَدْ جَرَّبْتَ هَذَا الدَّهْرَ حَتَّى
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ

⁶² أصل الخداج: الوليد الذي يجيء قبل الوقت.. وكل نقصان في شيء يستعار له الخداج.

⁶³ مصردة باردة، وثجمت: أمطرت مطراً سريعاً دائماً

وعد.

وَلَقَدْ وَعِدْتُ مَوَاعِدًا فَتَبَدَّتْهَا
خَلْفِي وَوَعْدُكَ مَا يَزَالُ تَجَاهِي
هُوَ فِي الْغِنَى غَرَسِي وَغَرَسُكَ فِي الْعُلَى

قلوا وإن كثروا

قالوا أتبكي على رسمٍ فقلت لهم
إن الكرام كثير في البلاد وإن
لا يدهمنا من دهمائهم عددٌ

سيأكلنا الدهر

سيأكلنا الدهر الذي غال من نرى
ولا تنقضي الأشياء أو يؤكل الدهر
وأكثر حالات ابن آدم خِلقةٌ
يفرح بالشيء المعمار بقاؤه
ويحزن لما صار وهو له دُخرٌ

قربة النمل

وكأسٍ كمعسول الأمانى شربتها
ولكنها أجلت وقد شربت عقلي
إذا عوتبت بالماء كان اعتذارها
لهيباً كوقع النار في الحطب الجزل
إذا هي دبَّت في الفتى خال جسمه
لما دب فيه قربة من قري النمل
إذا ذاقها وهي الحياة رأيتَهُ
يعبس تعبس المقدم للقتل

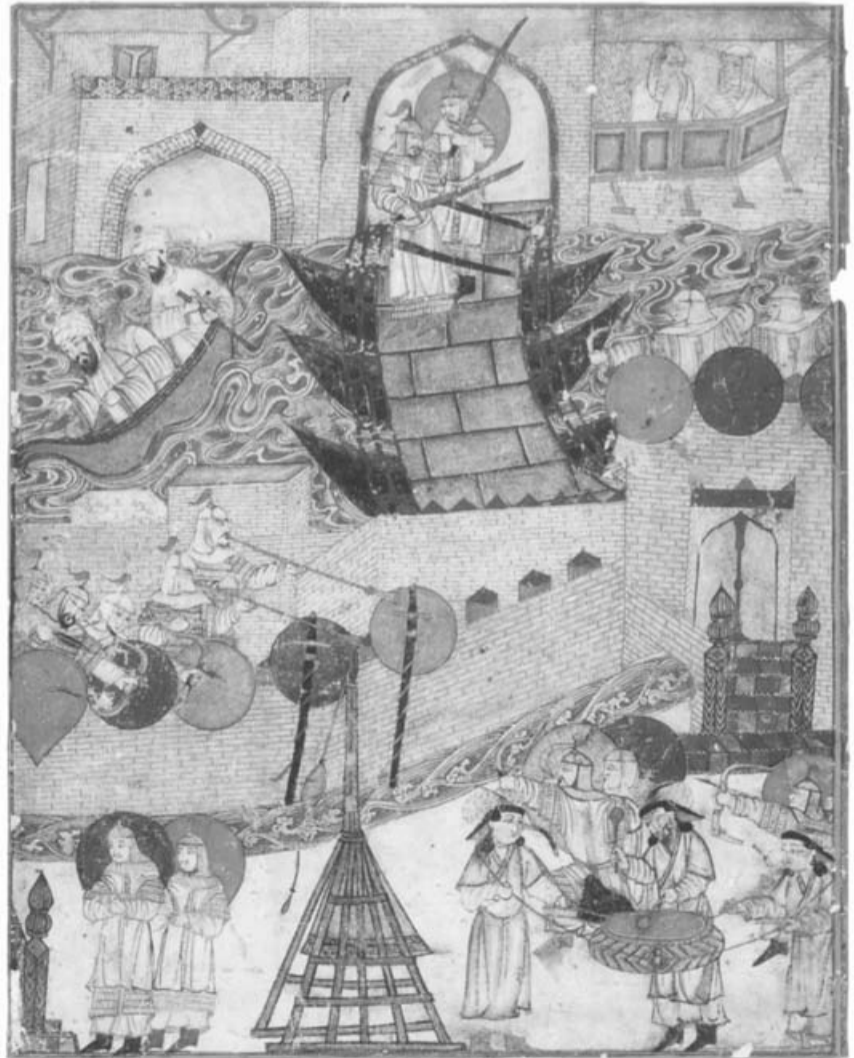
بيعة الشمس

ما إن رأى الأرقام شمساً قبلها
أقلت فلم تعقبهم بظلام
لو يقدرون مشوا على وجناتهم
وعيونهم فضلاً عن الأقدام

الاسكندر يحارب داريوس - منمنمة إيرانية، القرن السادس عشر - المكتبة الوطنية، باريس.



فرسان الاسكندر عن مخطوطة الشاهنامه / تبريز للفردوسي 1335م - متحف الفنون، كامبردج.



الأرض في عينيه دار

مَضَى الْأَمْلَاكُ فَاِنْقَرَضُوا وَأَمَسَتْ
وَقُوفٌ فِي ظِلَالِ الدَّمِّ تَحْمَى
دَرَاهِمُهَا وَلَا يُحْمَى الدِّمَارُ
وَأَلْقَى عَنِ مَنَاكِبِهِ الدِّثَارُ
وَلَكِنْ دَهْرُنَا هَذَا حِمَارُ
فَتَى كَالسَّيْفِ هَجَعَتْهُ غِرَارُ
كَأَنَّ الْأَرْضَ فِي عَيْنَيْهِ دَارُ
لَقَدْ قَطَعُوا طَرِيقًا أَوْ أَعَارُوا

قراءة الأدب

إِنْ يُكْدَ 64 مُطْرَفُ الْإِخَاءِ فَإِنَّا
نَغْدُو وَنَسْرِي فِي إِخَاءِ تَالِدِ
أَوْ يَخْتَلِفُ مَاءُ الْوِصَالِ فَمَاؤُنَا
عَذْبٌ تَحْدَرُ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدِ
أَوْ يَفْتَرِقُ نَسْبٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا
أَدَبٌ أَقْمَنَاهُ مُقَامَ الْوَالِدِ

وحشة نيسابور

صَرِيحٌ هَوَى تُغَادِيهِ الْهُمُومُ
بِنَيْسَابُورَ لَيْسَ لَهُ حَمِيمُ
غَرِيبٌ لَيْسَ يُؤْنِسُهُ قَرِيبُ
وَلَا يَأْوِي لِغُرَبَاتِهِ رَحِيمُ
مُقِيمٌ فِي دِيَارِ نَوَى شَطُونِ
يَمُدُّ زِمَامَهُ طَمَعُ مُقِيمِ
فَلَا عَجَبٌ وَإِنْ كَظَّتْ رِكَابِي
فَقَدَ فَارَقْتُ بِالْغَرِيبِيِّ دَارًا
هِيَ الْوَطْنُ الَّذِي فَارَقْتُ فِيهِ
فَإِنْ أَكْ قَدَ حَلَلْتُ بِدَارِ هُونِ
أَلَوْمُكَ لَا أَلَوْمُ سِوَاكَ دَهْرًا
قَضَى لِي بِالَّذِي يَقْضِي سَدُومُ
إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَثْرَاتِ دَهْرٍ
أُصِيبْتُ بِهَا الْغَدَاةَ فَمَنْ أَلَوْمُ
وَفِي الدُّنْيَا غِنَى لَمْ أَنْبُ عَنْهُ
وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا كَرِيمُ

64 أكدى: أعطى قليلاً، أو شخ وبخل، جاء في القرآن الكريم: وأعطى قليلاً وأكدى: النجم 34، والفعل المضارع «يكدى» مجزوم هنا بالشرط.

65 المشوم من الشؤم، وطيور الشؤم لدى العرب كثيرة منها: الغراب، والأخيل والقز، وطيور العراقيب.

تيمورلنك يستقبل حفيده - مخطوطة إيرانية - متحف لندن.



تيمورلنك في سمرقند - منمنمة فارسية يعود تاريخها إلى 1486م - متحف اسطنبول.



هرم من الرؤوس بعد غزو تيمورلنك لبغداد.
منمنمة هندية تعود للعصر المنغولي.



لا دهشة للحجاب .

أَنْضَيْتُ فِي هَذَا الْأَيَّامِ تَجَارِيبي
وَذَمَلْتُ فِي الْأَيَّامِ حَتَّى أَسَحْتَتْ
مُتَجَشِّمًا سُبُلَ الْمَطَامِحِ طَالِبًا
لَا تُدْهِشْنِي بِالْحِجَابِ فَإِنَّنِي
لَا تَكْلِفُنَّ وَأَرْضٌ وَجْهَكَ صَخْرَةٌ
خُذْ مِنْ غَدِي الْجَائِي بِخَزِيكَ ضِعْفَ مَا
فَلَا تُحْفِنَنَّ السَّفَرَ فَيْكَ بِشُرْدٍ
أَنْسَ يَقْمُنَ مَقَامَ زَادِ الرَّكِيبِ

الهوى ينسى الهوى!

بَيْتَ قَلْبِي مِنْ هَوَاكَ عَلَى الطَّوَى
وَرَحَلْتُ مِنْ بَلَدِ الصَّبَابَةِ وَالْجَوَى
هَيْهَاتَ كُنْتُ مِنَ الْخَدَائَةِ وَالصَّبَا
فِي غَفْلَةٍ إِنْ الْهَوَى يُنْسِي الْهَوَى

كنز الذنوب

مَا الذَّنْبُ يَا كَنْزَ الذَّنُوبِ مَعَا
لَكَ فِي الْهَوَى لَكِنَّهُ ذَنْبِي
فَاسْلَمْ وَلَا تَسْلَمْ فَلَا عَجَبٌ
لَمْ تَنْجُ لَوْلَاؤُهُ مِنَ الثَّقَبِ

لأجل المجد!

خُذِي عِبْرَاتِ عَيْنِكَ عَنْ زَمَاعِي
وَصَوْنِي مَا أَزَلَّتْ مِنَ الْقِنَاعِ
أَقْلِي قَدْ أَضَاقَ بُكَاءُ ذِرْعِي
وَمَا ضَاقَتْ بِنِازِلَةِ ذِرَاعِي
لَمَوْقُوفٍ عَلَيَّ تَرَحُّ الوُدَاعِ
كَأَنَّ الْمَجْدَ يُدْرِكُ بِالصِّرَاعِ

السيف المقطوع!

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا
وَأَصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَعَا
بِيَوْمِي مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ وَدَعَا
وَوَاللَّهِ لَا تَقْضِي الْعِيُونَ الَّذِي لَهُ
فَإِنْ تُرْمَ عَنْ عُمُرٍ تَدَانِي بِهِ الْمَدَى
فَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ لَاقَى ضَرْبَةً
فَقَطَّعَهَا ثُمَّ انْثَنَى فَتَقَطَّعَا....

معركة قرب كابول عن منمنمة الشاهنامه - متحف اللوفر، باريس.



⁶⁶ الذمل: نوع من سير الإبل بين المشي والعدو، واسحنت: أي تقشرت بفعل مشقة السفر، والغارب ما بين سنام الجمل وعنقه، ومنه القول: الحبل على الغارب.

شكيمة العقل .

إذا نوبةً نابت أدرتُ صُروفَها
يداك لنا شهراً ربيع كِلاهما
إذا جف أطرافُ البَحيلِ مِنَ الأزمِ
وأكرمُ في اللأواءِ عوداً مِنَ الكرمِ⁶⁷
أإبائي جارى القومُ في الشِعْرِ ضَلَّةً
وقد عاينوا تلكَ القلائدِ مِنْ نَظْمِي
وما أنا بالغيرانِ مِنْ دونِ جارِهِ
لصيقُ فُوادي مُد ثلاثونَ حِجَّةً
أبى ذاكَ صَبْرٌ لا يَقيلُ على الأذى
وإنِّي إذا ما الحِلْمُ أَحوجَ لاحتيا
تَظُنُّ ظُنونَ السوءِ بي إن لَقيتني
ولا وتري فيما كَرِهتَ ولا سَهَمِي

الانتقام من الهجر

سَيَعْلَمُ الهَجْرُ أَنَا مِنْ إِسَاءَتِهِ
وظَلَمِهِ بِالوِصَالِ العَذْبِ نَنتَقِمُ
أما الوجوهُ فَكَانَتْ وَهِيَ عَابِسَةٌ
أما القلوبُ فَكَانَتْ وَهِيَ تَبْتَسِمُ
سَعَايَةٌ مِنْ رِجالٍ لا طَباخَ⁶⁹ بِهِمْ
قالوا بِما جَهِلوا فِينا وما عَلِموا

معركة جالديران - منمنمة إيرانية 1525 - متحف اسطنبول.



ليالينا بالرقتين .

بَدَتْ لِلنَوَى أَشياءُ قَد خِلتُ أَنها
سَيَبِدُنِي رَبِّبُ الزَمانِ إِذا تَبَدو
نَوَى كائِنِضاضِ النَجْمِ كَأَنَّ نَتِجَةً
وَعَيْنُ إِذا هَيَّجَتها عَادتِ الكَرى
وَمَا خَلَفَ أَجفاني شُؤنُ بَخيلَةٍ
وَلَا بَينَ أَضلاعي لَها حَجَرٌ صَلدُ
وَكَمَ تَحْتَ أرواقِ الصَّبابةِ مِنْ فَتى
وَمَا أَحَدُ طارِ الفِراقِ بِقَلبِهِ
وَمَنْ كانَ ذا بَثٍّ على النَّايِ طارِفِ
فَلِما مَلِكُ فَرَدُ المَواهِبِ وَاللُهي
لِيا لينا بِالرَقَتينِ وَأَهلِها
سَحابٌ مَتى يَسحَبُ على النَّبَتِ ذِبِلَهُ
فَلِما رَجُلٌ يَنبو عَلَيهِ ولا جَعَدُ
فَلَمَ أَلقَ مِنْ أَيامِها عِوضاً بَعَدُ

من أحب؟

راحتي في البكاءِ حَتى أراكا
إِنَّ لي مِنْكَ شاعِلاً عَن سِواكا
وَإِذا قِيلَ مَنْ تُحِبُّ تَخَطَّ
لِلساني وَأَنتِ في القَلبِ ذاكَا

منمنمة هندية تعود إلى 1526م تمثل معركة.



⁶⁷ الأزم: الشدة والقحط، ومنه الأزمة، والأواء: المحنة

⁶⁸ يقيل: من القيلولة في منتصف النهار، والفواق: برهة قصيرة من الزمن في النهار الواحد، تقول العرب «فواق ناقة» أي الزمن بين حلبتين.

⁶⁹ لا طباخ لهم: لا عقول لهم

من هم؟

قَوْمٌ هُمْ أَمِنُوا قَبْلَ الْحَمَامِ بِهَا مِنْ بَيْنِ سَاجِعِهَا الْبَاكِي وَنَائِحِهَا
كَانُوا الْجِبَالَ لَهَا قَبْلَ الْجِبَالِ وَهُمْ سَالُوا وَلَمْ يَكُ سَيْلٌ فِي أَبَاطِحِهَا

خاتم الخوف

كَيْفَ يُضْحِي بِرَأْسِ عَلِيَاءَ مُضْحٍ وَجَنَاحُ السُّمُومِ مِنْهُ مَهِيضٌ
هَمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدُّ كَمْ فَتَى ذَلَّ لِلزَّمَانِ وَقَدْ أَلِدُ
قَدْ فَضَضْنَا مِنْ بِيَدِهِ خَاتَمَ الْخَوْفِ وَمَا كُلُّ خَاتَمٍ مَفْضُوضٌ
أَلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهُوَ حَضِيضٌ قَى مَقَالِيدَهُ إِلَيْهِ الْقَبِيضُ⁷²

غزل صوفي.

مَنْحَتُكَ وَدَاً كَانَ طِفْلاً فَقَدْ نَشَا وَأَبْدَيْتَ لِي جِسْماً مِنَ الْوُدِّ مَوْحِشَا
أَرَى ثَمَرَ الْحُسْنِ الَّذِي قَدْ غَرَسْتَهُ وَأَبْدَيْتَ لِي جِسْماً مِنَ الْوُدِّ مَوْحِشَا
طُولِي يَا خَلِيَّ الصَّدْرِ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى حَشَا لَسْتُ أَدْرِي جَمْرَةٌ هِيَ أَمْ حَشَا
فَدَاوُ سَقَاماً مِنْهُ فِي الْجِسْمِ فَاشِياً كَمَا الْحُسْنُ فِي سَاحَاتِ وَجْهِكَ قَدْ فَشَا
فَأُفْسِمُ لَوْ تَبَدُّو لِعَيْنِ مَرْقَشٍ لَأَذْهَلْتَ عَنِ أَسْمَاءِ حَقّاً مَرْقَشَا



منمنمة منغولية تعود لعام 1615 تمثل الـ «جاهانجير» يحمل صورة أبيه - متحف غيميه، باريس.

⁷⁰ الكهل ما بين الثلاثين إلى الخمسين، لكن المقصود هنا العقل والحكمة، جاء في القرآن الكريم «ويكلم الناس في المهد وكهلاً» آل عمران / 46، والحبر: العالم «بتحبير الكلام» وتأويله وتحسينه.

⁷¹ غيث همع: أي سحب ماطر على هيئة هطول.

⁷² القبيض: أي الركب السائر بسرعة، ويقال للرجل الحسن التدبير في مقاليد الأمور: القبيض، أي القادر على سوق الركب دون هياج.

محمد الفاتح - 1480 - متحف اسطنبول.



رؤيا الشهيد.

رَأَيْتُهُ بِنَجَادِ السَّيْفِ مُحْتَبِياً
كَالْبَدْرِ حِينَ جَلَّتْ عَن وَجْهِهِ ظُلْمُهُ
فِي رَوْضَةٍ قَدْ عَلَا حَافَاتِهَا زَهْرٌ
عَلِمْتُ عِنْدَ انْتِبَاهِي أَنَّهَا نِعْمَةٌ
فَقُلْتُ وَالِدَمْعِ مِنْ حُزْنٍ وَمِنْ فَرَحٍ
يَجْرِي وَقَدْ مَلَأَ الْحَدِيدَ مِنْسَجِمُهُ
أَلَمْ تَمُتْ يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مُدَّ زَمَنٍ؟
فَقَالَ لِي: لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرَمُهُ

فخر.

لَنَا جَوْهَرٌ لَوْ خَالَطَ الْأَرْضَ أَصْبَحَ
وَبُطْنَانُهَا مِنْهُ وَظَهْرَانُهَا تَبْرُ
مَقَامَاتُنَا وَقَفَ عَلَى الْحِلْمِ وَالْحِجَى
فَأَمْرَدْنَا كَهْلٌ وَأَشْيَبْنَا حَبْرٌ⁷⁰

طيور ورايات..

وَقَدْ ظَلَلْتُ عِقْبَانَ أَعْلَامِهِ ضُحَىً
بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ
أَقَامَتْ مَعَ الرِّيَاطِ حَتَّى كَانَتْهَا
مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ تُقَاتِلِ

حفيد البهاليل.

أَنَا ابْنُ الَّذِينَ اسْتَرْضِعَ الْجُودُ فِيهِمْ
وَسُمِّيَ فِيهِمْ وَهُوَ كَهْلٌ وَيَافِعُ
نُجُومٌ طَوَالِيعُ جِبَالِ فَوَارِعُ
غُيُوثٌ هَوَامِيْعُ سَيُولُ دَوَافِعُ⁷¹
بِهَالِيلٍ لَوْ عَايَنْتَ فَضَّلَ أَكْفَهُمْ
لَأَيَقَنْتَ أَنَّ الرِّزْقَ فِي الْأَرْضِ وَاسِعُ

جهات الأيام.

ألم يأن تركي؟

أَيَّامَنَا مَا كُنْتُ إِلَّا مَوَاهِبَا
سَنْعَرِبُ تَجْدِيداً لِعَهْدِكَ فِي الْبُكََا
سَلِي هَلْ عَمَرْتُ الْقَفْرَ وَهُوَ سَبَاسِبُ
وَعَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقِ
وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّوَائِبِ أَصْبَحَتْ
وَكُنْتُ بِإِسْعَافِ الْحَبِيبِ حَبَائِبَا
فَمَا كُنْتُ فِي الْأَيَّامِ إِلَّا غَرَائِبَا
وَعَادَرْتُ رَبْعِي مِنْ رِكَابِي سَبَاسِبَا
وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدِ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا
خَلَّائِقُهُ طُرّاً عَلَيْهِ نَوَائِبَا

أَلَمْ يَأْنِ تَرْكِي لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا
وَقَدْ نَالَ مِنِّي الشَّيْبُ وَإِبْيَضَ مَفْرَقِي
وَحَالَتْ بِي الْحَالَاتُ عَمَّا عَهَدْتَهَا
أَصْوْتُ بِالدُّنْيَا وَلَيْسَتْ تُجَيِّبُنِي
وَمَا تَبْرَحُ الْأَيَّامُ تَحْذِفُ مُدَّتِي
لِتَمْحُوَ أَثَارِي وَتُخْلِقَ جِدَّتِي
أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ مَالَتْ بِصَغْوَهَا⁷⁴
هَبِينِي مِنَ الدُّنْيَا ظَفَرْتُ بِكُلِّ مَا
أَلَيْسَ اللَّيَالِي غَاصِبَاتِي بِمُهْجَتِي
فَقَدْ أُنْسَتْ بِالْمَوْتِ نَفْسِي لِأَنْفِي
فَيَا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي وَمِعْشِي
وَعَزَمِي عَلَى مَا فِيهِ إِصْلَاحٌ حَالِيَا
وَعَالَتْ سَوَادِي شُهْبَةً فِي قَدَالِيَا⁷³
بَكَرَ اللَّيَالِي وَاللَّيَالِي كَمَا هِيَا
أُحَاوِلُ أَنْ أَبْقَى وَكَيْفَ بَقَائِيَا
بَعْدَ حِسَابٍ لَا كَعَدَّ حِسَابِيَا
وَتُخْلِي مِنِّي رُبْعِي بِكُرْهِ مَكَانِيَا
إِلَى خَطَرَاتٍ قَدْ نَتَجَنُّ أَمَانِيَا
تَمَنَّنَيْتُ أَوْ أُعْطِيتُ فَوْقَ أَمَانِيَا
كَمَا غَصَبَتْ قَبْلِي الْقُرُونُ الْخَوَالِيَا
رَأَيْتُ الْمَنِيَا يَخْتَرِمُنْ حَيَاتِيَا
أَكُونُ رُفَاتَا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

استعد..

تُحَاوِلُ شَيْئاً قَدْ تَوَلَّى فَوْدَعَا
خَشِنَتْ عَلَى التَّادِيبِ فَهَمَّا وَمَنْطَقَا
وَأَقْبَلَتْ الْأَيَّامُ تَرْتَادُ مَصْرَعَا
لِجَنِّبِكَ فَارْتَدِ إِذْ تَيْقَنْتُ مَضْجَعَا
وَهِيَهَاتَ مِنْهُ أَنْ يَعُودَ فَيْرَجَعَا
وَلَيْتَ عَلَى الْأَيَّامِ لَيْتَا وَأَخْدَعَا

73 القذال: مؤخرة الرأس

74 مال بصغوه: التفت كمن يتسمع قوله عن قرب.

كتاب «تعليم فنون القتال والفروسية» - القرن 16 - دار الكتب المصرية.



